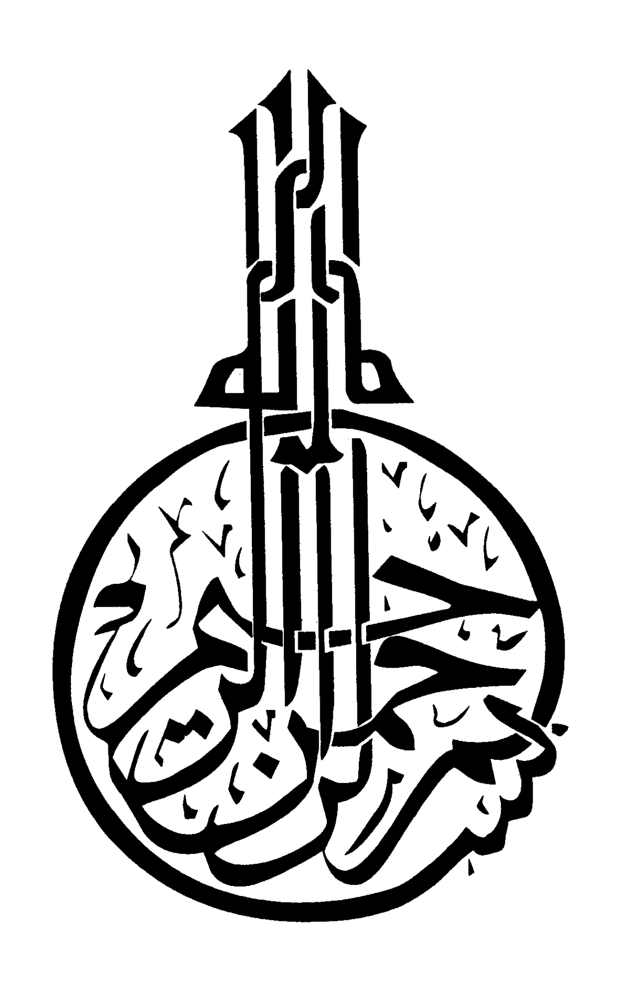
من نبع الدين والحياة

الكاتبـــــة / ناهـــــد الخراشي

دار الكتاب الحديث


بسم الله الرحمن الرحيم

1421 هـ / 2001 م



دار الكتـــاب الحـــديث

القاهرة 94 شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762
هاتف رقم : 2752990 (202 00) فاكس رقم : 2752992 (202 00) بريد
إلكتروني : kdh@eisl.eis.com.eg

الكويت شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : 22754 - 13088 الصفاه هاتف رقم
2460634 (965 00) فاكس رقم : 2460628 (965 00) بريد إلكتروني
ktbhades@ncc.moc.kw

الجزائر Adresse : Gouvernorat du Grand Alger - Lot C no 34 - Draria
B. P. No 061 - Draria هاتف رقم : 353035 (02) - 354105 (02)
فاكس رقم : 353055 (02) بريد إلكتروني dkhadith@netscape.net

رقم الإيداع 2000/16877
I.S.B.N. 977-5758-72-6

للاستفسار والمراسله :بريد الكتروني nahid @islam-online.net

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ
وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

[الفتح:٢٨]

إهداء

إلى كل ساجد خاشع لله

إلى كل محب لله

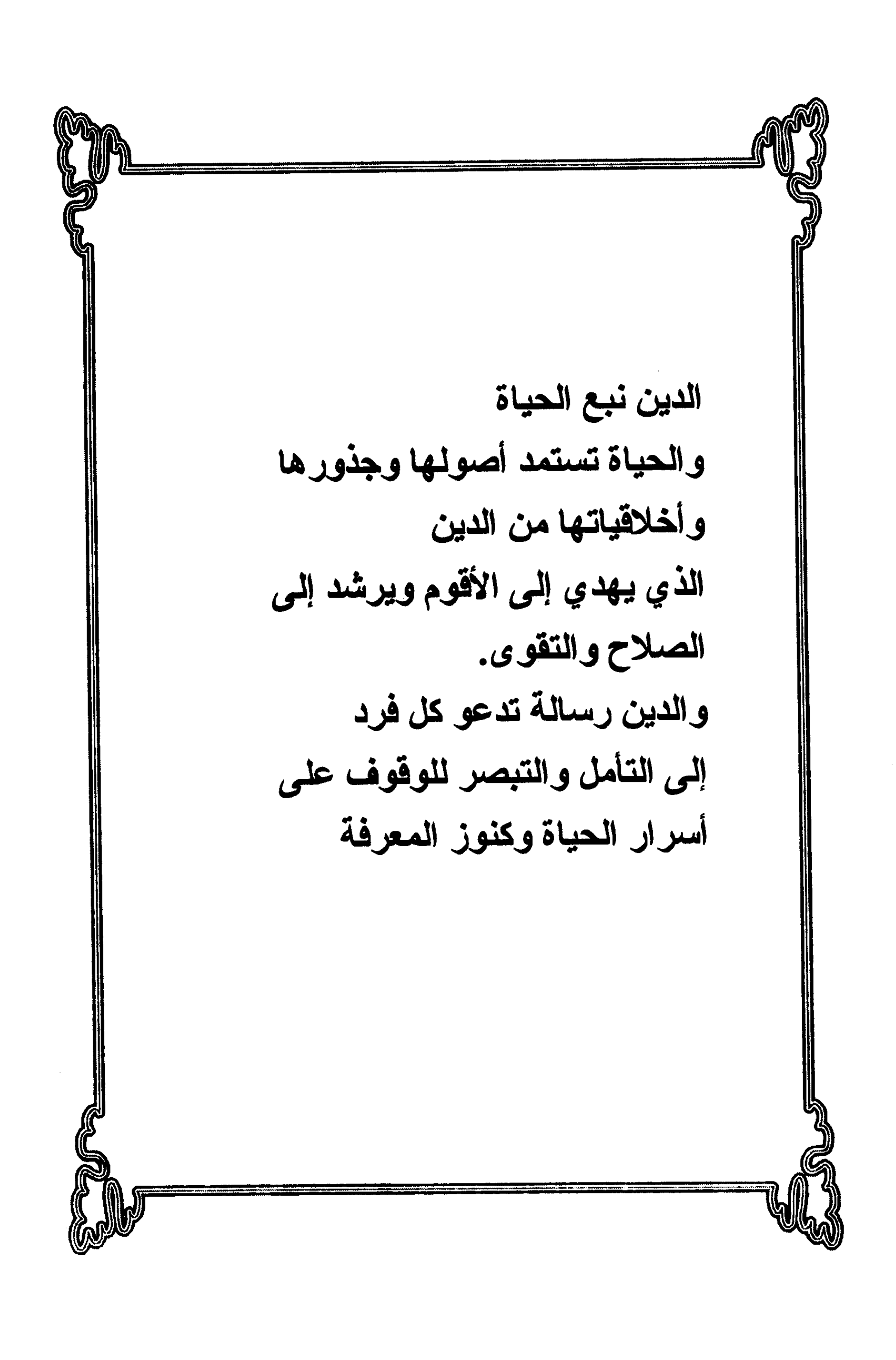
إلى كل شاكر لله

إلى كل متأمل يتأمل عظمة الله

إلى كل إنسان يتفكر ويتبصر ويتدبر آيات الله في الوجود والحياة...

إلى كل فرد يجعل الدين نبراساً له في الحياة . . ونوراً يهتدي به إلى صراط الله المستقيم

أهدي هذا الكتاب حباً في الله.



الدين نبع الحياة
والحياة تستمد أصولها وجذورها
وأخلاقياتها من الدين
الذي يهدي إلى الأقوم ويرشد إلى
الصلاح والتقوى.
والدين رسالة تدعو كل فرد
إلى التأمل والتبصر للوقوف على
أسرار الحياة وكنوز المعرفة

مقدمة

بسم الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له . . . له وحده نسلم، وبه وحده نؤمن . . منه وحده الفضل، وله وحده الحمد . . وإليه وحده يرجع الأمر كله . . والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أشرقت الدنيا بنور وجهه الكريم، وعظم به أمر الدنيا والدين وانقشعت برسالته ظلمات الجهل، واهتدى بهديه التابعون إلى يوم الدين، محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ

والسلام على من اتبع الهدى . . .

وبعد،،،

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

بإذن الله جل جلاله وأمره وحده . . وبمشيئته هو وحده ... وبهدايته سبحانه وحده ... وبتوفيق منه وحده ... وبعونه وحده... وبفضله تعالى هو وحده ... كتبت هذا الكتاب.

لله وحده الأمر من قبل ومن بعد، وهو سبحانه وحده المتفضل أولاً وأخيراً، وهو جل جلاله وحده المنعم في البداية والنهاية .. ونحن جميعاً نحيا في ظلال رحمته وحنانه وحبه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى.

ومع إشراقات الحب الرباني .. ونسمات الحنان الإلهي يُفتح باب الطريق إلى الله ينير للعبد سبل القرب منه عز وجل.

والدين رسالة تدعو كل فرد إلى التأمل والتبصر للوقوف على أسرار الحياة وكنوز المعرفة.

والتأمل باب من أبواب الفتح، ودائماً الله سبحانه وتعالى يفتح الطريق أمام من يتأمل ويتفكر ويجاهد في طريقه.

﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩]

فالتأمل هو نبض الحياة، ولأن التأمل في طريق الله في النهاية لابد وأن يثمر ثمرة تنتفع بها العقول المتدبرة والقلوب المحبة لله، فكانت حصيلة هذه التأملات هذا الكتاب (من نبع الدين والحياة) الذي يرتكز على موضوعات مختلفة .. كل موضوع هو ومضة من ومضات الحياة ممتزجة بنبضات من الإيمان، وكيف أن إيماننا دائماً يعطينا القوة الدافعة لمواجهة ما يقابلنا في الحياة من آلام وجراح ويعلمنا كيف نتعامل مع نعمته سبحانه وفضله علينا.

والحقيقة الثابتة التي تفرض نفسها في كل زمان ومكان وعبر الأيام والسنين أنه لا استغناء عن الدين، ولابد أن تنبع سلوكياتنا وتصرفاتنا وأخلاقياتنا من ديننا الحنيف الذي يهدي إلى الأقوم، ويرشد إلى الخلق القويم والسلوك الحميد بما يرضي الله عز وجل وبما يحقق لنا الحياة الآمنة المطمئنة.

ودائماً تعلمنا المحن دروساً هامة في الحياة .. لا نتركها تمر مروراً سريعاً دون أن نتعلم ونتعظ منها .. فهي رسالة إلينا تصقلنا وتدعونا إلى أن نتمثل بسلوكيات أنبياء الله في معالجتهم للمحن التي واجهتهم والتي كانت تعبر عن تمسكهم بالدين وما تتطلبه المحنة من صبر وشكر دائم مما يبعث على الأمل المتجدد في الحياة، ونزع اليأس من النفس.

والإسلام هو رسالة الله إلى الإنسان ... رسالة الله لتوجه الإنسان كطبيعة أعدها الله على خلق خاص وميزها على سواها ممن خلق:

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء:٧٠]

فلقد كان الإسلام نظاماً لحياة الإنسان ، ولذلك نرى أنه يدخل بتوجيهه في نظافة الإنسان، وغذائه، وشرابه، في ملبسه، وفي وسائل تسليته، وفي معاملته لغيره، وفي عبادته لربه.

وحياة الإنسان أينما كان وفي أي مكان وجد، هي تلك الحياة ذات الألوان العديدة.

ومن هنا كان الدين لا ينفصل عن المجتمع، ولا غنى للمجتمع عن الدين، وإلا أصبحت الدنيا كالغابة، لا هُدى، ولا نور نسترشد به ، ولا هدف نحيا من أجله ونسعى لتحقيقه.

فالدين هو الذي يقوم حياتنا، ويهدينا إلى السبيل الأمثل، ويضيء لنا الطريق الذي نسلكه، وهو الذي يحقق لنا السلام مع النفس والآخرين.

وهذا الكتاب يعبر عمَّا يجري على مسرح الحياة من أحداث، من الممكن أن تقابل كل منا في حياته اليومية، وكيفية معالجتها من نبع الدين الذي لا ينضب أبداً، حيث كتاب الله الذي نتمسك به ومرشدنا في الحياة وسنة رسوله ﷺ والتي هي قدوة ومثل أعلى وأسوة حسنة لنا في الدنيا والآخرة.

وأسأله تبارك وتعالى أن يتقبل هذا الكتاب خالصاً مخلَصاً لوجهه الكريم، وأن يتمَّ نعمته عليَّ بأن يخرج هذا العمل إلى النور، وأن يكون ثمرة نافعة وبذرة طيبة لكل إنسان مؤمن يحب الله . . سالكاً طريقه . . ساعياً إلى رضاه . . طامعاً في مغفرته ورحمته وثوابه . . متخذاً الدين نبراساً له في الحياة.

ناهد الخراشي

اللهــم . . .

إن علاقة العبد بخالقه . . علاقة صافية تحيا فــي عـالم النـور حيث الحـب و الـهدوء و السـكينة . . إنــها علاقــة مليئــة بـالود و الصفـاء و الحنــان و الحب.. ممتزجة بالإيمان والسمو الروحـي و الـترقي دائمـاً نحـو مكـارم الأخلاق . . إنها صلة روحيـة صافيـة نقيـة يكـون القلـب فيـها ممـدوداً .. موصولاً بشعاع نوراني يفيض على الحيـاة كلـها أنـوار الإيمـان والحـب والسلام و الخير التي تستمد قوتها ونورها وأشعتها مـن حـب الله الكبـير.. وحنان الله الوفير . . وعطاء الله الغزير . . .

وتبدأ هذه الصلة الروحية بحب العبد لخالقه حباً كبيراً . . عظيماً . . كاملاً . . فـإن الله هـو مـالك الملـك . . ذو الفضـل العظيـم . . الوهـاب . . القادر على كل شيء.

إن هذه الصلة الروحية بمثابة البـذرة الطيبـة أصلـها الإيمـان بـالله، وأن يحب العبد خالقه حباً يفوق كل شيء، وأن يكون صـادقاً مخلصـاً فـي هذا الحب العظيم لله تبارك وتعالى .. من هذا المنطلق الإيماني يجد العبـد نفسه محباً لكل شــيء بعـد حبـه لله العلـي الكبـير رب العـرش العظيـم . . فيوجه حياته، ويسير في طريقه ، ويتعامل مع العـالم أولاً والأشـياء ثانيـاً محبة في الله وحده لا شريك له ، ومرضـاةً لله عـز وجـل سـائلاً حـب الله وحنانه وعونه وتوفيقه ونوره سبحانه وتعالى . . .

ومن أهم سمات هذه الصلـة، وصفـات هـذا الحب أن يكـون القلب صافياً نقياً . محباً . صادقاً . مخلصاً . عطّاءاً . خيّراً . خالياً من أي شوائب . لا يعرف للحقد معنى، ولا للحسد سبيلاً، ولا للكراهيـة سبباً . وليس للشر مكان ولا للنفس الضعيفة وجود في حياته . إنـه قلب ينبض بالحب . يستمع لصوت الحيـاة . يستجيب إلـى نـداء الوجدان . يسعى للخير ويعمل من أجل الخير الأسمى . وينشد الحب والسـلام لـه ولغيره سائلاً الله عـز وجـل السـلام والأمـن والـهدوء والـهناء والسعادة النفسية والروحية له ولمن حوله داعياً بـ **اللّـهـم** ظـاهراً وباطنـاً، قلباً وقالباً ، قولاً وفعلاً . . . . . . إنها كلمة واحدة ولكنها تنطوي على معـاني الإيمان بالله ، والحب لله، والدعاء إلى الله والحاجة الدائمة إلى الله، والتوكل على الله، والثقة في الله، والأمـل فـي الله، والرجـاء فـي الله بـأن يحقق آمالنـا، ويستجيب لدعائنـا وفـي ذلـك يقـول الله عـز وجـل وهـو سبحانه أصدق القائلين:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ ﴾

[يونس:٩-١٠]

إنّ توجه القلب بكل صدق إلى الله، ودعوته المخلصة بـ **اللهم** - إن دلت على شيء – إنما تدل على ذكر الله، وقوة الصلة والصفـاء، والحب

الذي يجمع بين العبد وخالقه ومدى الود والثقة والأمن النفسي الذي يشعر به العبد، والهدوء والسعادة النفسية والروحية الكاملة التي يحس بها العبد وينبض بها قلبه ووجدانه وروحه وكيانه كله والتي هي لمسات من الحنان الإلهي.

اللهم لك أنت وحدك نسبح . . .

اللهم لك أنت وحدك نحمد . . .

اللهم لك أنت وحدك نشكر . . .

اللهم لك أنت وحدك نسجد . . .

اللهم لك أنت وحدك نركع . . .

اللهم لك أنت وحدك نقدس . . .

اللهم أنت وحدك نعبد . . .

لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك . . .

سبحانك رب العالمين . . . . . .

هدية الله إلى العالمين

مما لا شك فيه أن الكون كله مليء بلمسات من الحنان الإلهي . . فالوجود بأكمله . . . بدايته ونهايته يشعر وينعم بلمسات الحنان الإلهي والأمان الرباني.

فنحن قلوب تتعطش إلى النقاء والصفاء النوراني، ولا نرتوي إلا من الحب الرباني فنحيا وننعم بلمسات كبرى من الحنان الإلهي.

ومن أعظم لمسات حنان الله عز وجل إنزاله سبحانه وتعالى لكتابه العظيم " القرآن الكريم " هديته العظمى إلى العالمين مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩]

إن من يتأمل هذه الآية الكريمة يجد نفسه أمام لمسة حنان كبرى من الله عز وجل ، الذي أنزل القرآن الكريم هداية ورحمة لعبده، ووعده بحفظ هذا الكتاب الشريف من أقلام التحريف، وقلوب الحقد، وبراثن الشر ، وحبائل الشياطين حتى يوم الدين . . هذا هو وعد الله ووعده تعالى هو الحق فيطمئن الإنسان على طريقه مستنيراً بكلمات الله ، آمناً . . . هانئاً . . . سعيداً بدوام وبقاء وحفظ النور الذي يضيء حياته مستمتعاً بلمسات الحنان الإلهي.

إن كلمات الله المشرقة بأنوار الهدى .. هي شفاء ورحمة للمؤمنين.

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء:٨٢]

إنه رحلة عميقة تهز القلب والنفس والروح والوجدان والكيان كله، وتسعد المشاعر والأحاسيس . . . رحلة في رحاب الله بين السماء والأرض تتقلك في بساط نوراني برفق وحنان بالغ، من مكان إلى مكان، ومن قصة إلى أخرى ، وتصعد بك من نور إلى آخر ، حتى أنك أيها العبد الصالح، تفيض نوراً فترى كل ما حولك نوراً عليه اسم الله. . . . لا إله إلا هو.

إنه السعادة الحقّة للباحثين عن السعادة.

إنه رحمة وشفاء للمؤمنين . . إنه الحب الأصيل والوفاء الفريد للمحبين والعاشقين المخلصين . .

إنه العطاء الغزير للمحرومين . . والمصباح المنير للتائهين . . والأمان الكبير للضائعين في متاهات الحياة يتلمسون الطريق.

إنه الحياة الحقيقية إلى الذين ينشدون الهدوء والأمن النفسي، ويطلبون الطمأنينة القلبية، ويبحثون عن السعادة الروحية الكاملة.

إنه نفحات ربانية يعجز الإنسان عن وصفها والتعبير عنها . . . تنطق بنفسها وتشهد بآثارها على فضل الله العظيم، ومنته الكبرى، وآياته الجليلة المحكمة، وكلماته التي لا تنفذ أبداً.

قال تعالى : ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود:١]

إنه كتاب توحيد وإيمان . . وكتاب تشريع وسنن . . وكتاب تأمل وعبادات . . وكتاب بلاغة وأدب . . وكتاب فيه أصول كل العلوم، وفيه الحكمة والموعظة الحسنة وفيه كل ما يتطلبه ويحتاج إليه الإنسان في نشأته الدنيوية والأخروية.

إنه الأخلاق القويمة . . والآداب الحميدة التي يجب أن نتحلى بها ونتزود بها فتكون عوناً لنا في الطريق داعين الله أن يوفقنا فنسير في الطريق راجين أن نكتب من الناجين، فنفوز الفوز العظيم.

إنه طريق طويل . . ولكنه جميل . . طريق نتزود به من معرفة إلى أخرى، ومن حكمة إلى أخرى . . إنه المعرفة التي تضيء القلوب . . والحكمة التي تحيي النفوس . . إنه طريق تصعد فيه أيها العبد الصالح خليفة الله في الأرض إلى أعلى حيث الحب والسكينة والطمأنينة والأمان.

أليس بعد كل ذلك هو الهدية العظمى التي وهبها الله تعالى لعبده الذي خلقه في أحسن تقويم، والنعمة الكبرى التي أنعم بها على العالمين.

حقاً وصدقاً ويقيناً أن القرآن الكريم هو هدية الله إلى العالمين .. فهو الأنيس في الوحدة، والجليس في الغربة، والنور في الطريق، والمرشد في الرحلة ، والحكمة في الحياة، والاطمئنان في الحيرة، والأمن عند الضياع، والغذاء الروحي ، والشفاء البدني ، والسعادة في الدنيا والآخرة.

إنه هو الماضي والحاضر والمستقبل، والثروة الحقيقية الخالدة في الحياة.

إن الحديث عن القرآن الكريم قد يطول ويطول . . . ويحتاج أياماً أخرى غير أيامنا، وسنيناً أخرى بعد سنواتنا، وعمراً آخر بعد عمرنا . . إنه حديث لا تستطيع أن تحتويه الصفحات، ولا أن تشمله أيام عمرنا كله.

إن أجمل ما في الحياة الإيمان بالله . . . وأعظم ما في الوجود حب الله . . وأروع ما في الدنيا السير في طريق الله . . . وأحلى ما في النفس الإنسانية التحلي بما جاء به القرآن من خلق كريم، وأدب حميد، وسلوك عظيم، فتنعم بالأمن، وتهنأ بالسكينة ، تسعد بالفيض الإلهي في نور القرآن الكريم.

قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) ﴾ [النحل:٨٩]

أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

[الأنعام:٨٢]

الحياة كنوز ونفائس

أعظمها الإيمان بالله . . . وطريقها منارة القرآن الكريم

فالإيمان إشعاعه أمان . . .

والأمان يبعث الأمل . .

والأمل يثمر السكينة . . .

والسكينة نبع للسعادة . . .

والسعادة حصادها أمن وهدوء نفسي . .

فلا سعادة إنسان بلا سكينة نفس، ولا سكينة نفس بلا اطمئنان القلب.

مما لا شك فيه أن كلاً منا يبحث عن السعادة ويسعى إليها، فهي أمل كل إنسان ومنشود كل بشر والتي بها يتحقق له الأمن النفسي.

والسعادة التي نعنيها هي السعادة الروحية الكاملة التي تبعث الأمل والرضا، وتثمر السكينة والاطمئنان ، وتحقق الأمن النفسي والروحي للإنسان فيحيا سعيداً هانئاً آمناً مطمئناً.

وليس الأمن النفسي بالمطلب الهين فبواعث القلق والخوف والضيق ودواعي التردد والارتياب والشك تصاحب الإنسان منذ أن يولد وحتى يواريه التراب.

ولقد كانت قاعدة الإسلام التي يقوم عليها كل بنائه هي حماية الإنسان من الخوف والفزع والاضطراب وكل ما يحد حريته وإنسانيته والحرص على حقوقه المشروعة في الأمن والسكينة والطمأنينة وليس هذا بالمطلب الهين فكيف يحقق الإسلام للمسلمين الأمن والسكينة والطمأنينة.

إن الإسلام يقيم صرحه الشامخ على عقيدة أن الإيمان مصدر الأمان، إذن فالإقبال على طريق الله هو الموصل إلى السكينة والطمأنينة والأمن، ولذلك فإن الإيمان الحق هو السير في طريق الله للوصول إلى حب الله والفوز بالقرب منه تعالى.

ولكن كيف نصل إلى هذا الإيمان الحقيقي لكي تتحقق السعادة والسكينة والطمأنينة التي ينشدها ويسعى إليها الإنسان لينعم بالأمن النفسي.

إننا نستطيع أن نصل إلى هذا الإيمان بنور الله وسنة رسوله ﷺ ، ونور الله هنا هو القرآن الكريم الذي نستدل به على الطريق السليم ونأخذ

منه دستور حياتنا . . وننعم بنوره الذي ينير القلب والوجدان والنفس والروح والعقل جميعاً. أليس ذلك طريقاً واضحاً ووحيداً لنصل إلى نعمة الأمن النفسي؟

لقد عُني القرآن الكريم بالنفس الإنسانية عناية شاملة . . عناية تمنح الإنسان معرفة صحيحة عن النفس وقاية وعلاجاً دون أن ينال ذلك من وحدة الكيان الإنساني ، وهذا وجه الإعجاز والروعة في عناية القرآن الكريم بالنفس الإنسانية ، وترجع هذه العناية إلى أن الإنسان هو المقصود بالهداية والإرشاد والتوجيه والإصلاح.

فلقد أوضح لنا القرآن الكريم في الكثير من آياته الكريمة أهمية الإيمان للإنسان وما يحدثه هذا الإيمان من بث الشعور بالأمن والطمأنينة في كيان الإنسان وثمرات هذا الإيمان هو تحقيق سكينة النفس وأمنها وطمأنينتها.

والإنسان المؤمن يسير في طريق الله آمناً مطمئناً، لأن إيمانه الصادق يمده دائماً بالأمل والرجاء في عون الله ورعايته وحمايته، وهو يشعر على الدوام بأن الله عز وجل معه في كل لحظة، ونجد أن هذا الإنسان المؤمن يتمسك بكتاب الله لاجئاً إليه دائماً، فهو بالنسبة له خير مرشد بمدى أثر القرآن الكريم في تحقيق الاستقرار النفسي له.

فمهما قابله من مشاكل وواجهه من محن فإن كتاب الله وكلماته المشرقة بأنوار الهدى كفيلة بأن تزيل ما في نفسه من وساوس، وما في جسده من آلام وأوجاع، ويتبدل خوفه إلى أمن وسلام، وشقاؤه إلى سعادة

وهناء كما يتبدل الظلام الذي كان يراه إلى نور يشرق على النفس، ويشرح الصدر، ويبهج الوجدان . . فهل هناك نعمة أكبر من هذه النعمة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على حب الله وحنانه الكبير وعطائه الكريم لعبده المؤمن.

إن كتاب الله يوجه الإنسان إلى الطريق السليم ، ويرشده إلى السلوك السوي الذي يجب أن يقتدى به . . يرسم له طريق الحياة التي يحياها فيسعد في دنياه ويطمئن على آخرته.

إنه يرشده إلى تحقيق الأمن النفسي والسعادة الروحية التي لا تقابلها أي سعادة أخرى ولو ملك كنوز الدنيا وما فيها.

إنه يحقق له السكينة والاطمئنان، فلا يجعله يخشى شيئاً في هذه الحياة فهو يعلم أنه لا يمكن أن يصيبه شر أو أذى إلا بمشيئة الله تعالى ، كما يعلم أن رزقه بيد الله وأنه سبحانه وتعالى قد قسم الأرزاق بين الناس وقدَّرها، كما أنه لا يخاف الموت بل إنه حقيقة واقعة لا مفر منها، كما أنه يعلم أنه ضيف في هذه الدنيا مهما طال عمره أو قصر، فهو بلا شك سينتقل إلى العالم الآخر، وهو يعمل في هذه الدنيا على هذا الأساس، كما أنه لا يخاف مصائب الدهر ويؤمن إيماناً قوياً بأن الله يبتليه دائماً في الخير والشر، ولولا لطف الله سبحانه لهلك هلاكاً شديداً.

إنه يجيب الإنسان على كل ما يفكر فيه ، فهو يمنحه الإجابة الشافية والمعرفة الوافية، لكل أمر من أمور دينه ودنياه وآخرته.

إن كتاب الله يحقق للإنسان السعادة لأنه يسير في طريقه لا يخشى شيئاً إلا الله، صابراً حامداً شاكراً ذاكراً لله على الدوام ، شاعراً بنعمة الله عليه . . يحس بآثار حنانه ودلائل حبه... فكل هذا يبث في نفسه طاقة روحية هائلة تصقله وتهذبه وتقومه وتجعله يشعر بالسعادة والهناء، وبأنه قويٌ بالله . . . سعيدٌ بحب الله ، فينعم الله عز وجل عليه بالنور والحنان، ويفيض عليه بالأمن والأمان ، فيمنحه السكينة النفسية والطمأنينة القلبية.

مما سبق يتضح لنا أن للقرآن الكريم أثر عظيم في تحقيق الأمن النفسي، ولن تتحقق السعادة الحقيقية للإنسان إلا في شعوره بالأمن والأمان، ولن يحس بالأمن إلا بنور الله الذي أنار سبحانه به الأرض كلها، وأضاء به الوجود كله . . . بدايته ونهايته، وهذا النور هو القرآن الكريم.

ويؤكد لنا القرآن الكريم بأنه لن يتحقق للإنسان الطمأنينة والأمان إلا بذكره لله عز وجل :

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد:٢٨]

إذن علينا أن نتمسك بكتاب الله ونقتدي به ، ونتدبر في آياته البينات، ونتأمل في كلماته التي لا تنفد أبداً :

قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الكهف:١٠٩]

حتى نتحلى بالإيمان الكبير في هذه الرحلة الروحية مع آيات الله فنتزود بما جاء به القرآن الكريم من خلق عظيم، وأدب حميد ، وسلوك فريد، ومعرفة شاملة بحقيقة النفس الإنسانية كما أرادها الله عز وجل أن تكون ، وترتقي حيث الحب والخير والصفاء والنورانية، فننعم بالسلام الروحي الممدود، والاطمئنان القلبي المشهود، والأمن النفسي المنشود.

الخلق القرآني

من أجمل لمسات الحنان الإلهي أن الله عز وجل أهدى إلينا القرآن الكريم فاهتدينا إلى الطريق السليم والصراط المستقيم، ومن أعظم نبضات الحب الرباني أن أرشدنا سبحانه وتعالى إلى الطريق الواجب اتباعه . . والسلوك الأمثل الواجب الاقتداء به . . والخلق الفاضل الواجب التحلي به مما يضمن الاستقرار والأمان.

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ [الإسراء:٩]

فمما لا شك فيه أن القرآن العظيم هو هدية الله عز وجل إلى البشرية، ومنة الله الكبرى التي منَّها وأنعم بها على العالمين . . ولمسة حنان إلهية على الوجود بأكمله . . إنه الفضل العظيم والهبة الربانية من رب العباد مالك الملك ذي الجلال والإكرام.

إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون يبين لنا الطريق إلى الله ، وما يجب أن نتحلى به، ونتمسك به حتى نسير في الطريق ونحظى برضاء الله والقرب من الله فنكون من الفائزين في الدنيا والآخرة.

إنه القرآن المجيد والنور الفياض الذي يضيء لنا الحياة، فتُضاء قلوبنا وتُنار أبصارنا بما يفتح لنا الآفاق لتعمر قلوبنا بالإيمان وتتحلى

أنفسنا بالخلق القرآني القويم كما تحلى به الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث قال له الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤]

وكما قالت السيدة عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها عندما سئلت عن أخلاقه ﷺ ، فقالت : { كان خلقه القرآن }.

ولذلك يجب أن نسير على هدى القرآن العظيم حتى نتحلى بخلقه ونستضيء دائماً بأنواره وفحيح عطره وعظيم آياته المباركات.

إن الخلق القرآني هو نور من الله عز وجل إلى العبد الصادق المؤمن، ومنه يستمد الحياة والطريق إلى الله. فإذا صفت النفس.. وطهر القلب..ووضحت السريرة..وانقشعت من على النفس غمامات الحقد والحسد، عرف هذا العبد الصادق طريقه.. فيكون مناراً له في حياته، وذكرى حسنة بعد مماته، وإرثاً باقياً في ذمة الله إلى يوم الدين.

إن الخلق القرآني هو الصورة الحية النابضة الكاملة التي أراد الله عز وجل أن يتحلى بها عبده الصادق المؤمن حتى يكون دائماً على مقربة من الله، فيحظى برضائه، ويتمتع بعطائه الفياض الغزير الذي لا حد له، ولا ينتهي أبداً وكما قال الله تعالى في حديثه القدسي:

[من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً،
ومن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً،
ومن أتاني يمشي، أتيته هرولة]

وإذا استعرضنا الخلق القرآني فنجده متمثلاً في: البر بالوالدين، صلة الرحم ، الصدق والوفاء والإخلاص، والإيثار وإنكار الذات، والإحسان، والتواضع، وفي حب الخير، في الكلمة الطيبة وقول الحق وعدم إيذاء أي فرد لا بالقول ولا بالفعل، والترقي دائماً نحو الفضيلة والارتفاع فوق الصغائر، وكظم الغيظ، وتملك النفس عند الغضب، والهدوء والثبات عند انفعال الفرح والحزن، والصبر على المكاره، والرحمة، والعطف، والحزم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واللين والموعظة الحسنة، والتوكل على الله دائماً، وشكر الله على فضله الدائم، وحمده في السراء والضراء، وتفويض الأمور كلها لله عز وجل، فإن الأمر بيده هو وحده، والاستسلام لله سبحانه وتعالى، والتسامح والعفو عند المقدرة، والأمل والرجاء دائماً في الله، والتفاؤل ومساعدة الآخرين محبة في الله، والحكمة والحلم، واللجوء دائماً وأبداً إلى الله ، والاستغفار ، وذكر الله الدائم، والرضا في جميع الأحوال، والقناعة . . فإن القناعة كنز لا يفنى ..

وهذا كله مصداق لما قالته السيدة عائشة رضي الله عنها بما أوردناه سلفاً { كان خلقه القرآن} فجمعت وشملت ما لا يستطيع على الإنسان حصره من صفات في كلمة واحدة.

والأخلاق لا وزن لها بدون الإخلاص في النية والعمل، والإنسان الغني بحق هو الإنسان الذي يتمتع بغنى النفس، وغذاء الروح، وشفاء القلب متمثلاً في اتباعه للتوجيه الإلهي، متحلياً بالخلق القرآني .

ومن تحلى بالخلق القرآني وعرفه حق المعرفة، وقى نفسه من آثـام وشرور الدنيا، ولم يتبق له إلا النور والأمل والسعادة الحقيقية فـي الحيـاة وما بعد الحياة.

ولكن قبل أن يتحلى الإنسان بالخلق القرآني يجب أن يكـون حبـه لله كاملاً وعظيماً وأن يملأه إيمانه العظيم بالله سبحانه وتعالى الـذي سيدفعه إلى الرغبة القوية في التحلي بالخلق القرآني الذي يجعله يراقب نفسه فـي كل أفعاله، وتصرفاته، فيكـون لـه نـوراً فـي الحيـاة يمـلأ قلبـه ووجدانـه، وعقله ونفسه، وروحه وحياته، وطريقه كله.

إن الخلق القرآني هو النور . . هو دستور الحياة ، مما يجعلنا نسـير فـي الطريـق مطمئنين واثقيـن آمليـن فـي الفـوز برضـا الله، وحــب الله، وعطاء الله، ورحمة الله، وحنان الله، وفيض الله.

"اللهم أنبتنا نباتاً حسناً، واجعلنا من
الذين يتحلون بالخلق الكريم ، واجعل
القرآن العظيم دائماً وأبداً ربيع قلوبنا،
ونور أبصارنا، ومنار طريقنا، وجلاء
أرواحنا"

نبضات
من الحب الإلهي

الحب إكسير الحياة، ونبض الوجود، وسر السعادة القلبية . . وأعظم أنواع الحب هو الحب الإلهي . . منه ينبع الحنان، وبه يستقر الأمان، وفيه تسكن المودة، وعنه تنبعث الألفة مع جميع الكائنات والمخلوقات، وإليه يصل القلب إلى الغاية المنشودة، وهي السعادة الكاملة حيث يكمن الحب والحنان الإلهي، والنور الرباني، والفيض الرحماني.

وأعلى درجة في الحب هي ميل القلب إلى الله . . . بهذا المعنى يكون الحب هو الموافقة لإرادة الله، والسير في طريق الله، والطاعة فيما أمر، والابتعاد عمّا نهى، والرضا بما حكم وقدّر، ويحوي ذلك معنى الإيثار والتضحية ونكران الذات.

وهذا الحب إنما يكتسبه الإنسان في الحياة الدنيا، وبشرى له في الآخرة، وحب الله يمتاز به كل مؤمن لا ينقطع عنه أبداً، وإذا زاد حب الإنسان لله، انتهى به إلى العشق، وفى العشق يقطع الإنسان كل علاقة مع غير الله بإخراجها من القلب تماماً.

ومن ثمرات الحب الإلهي ألا يصاب المحب بخوف، ولا قلق، ولا اكتئاب، ولا يفكر إلا في الله وبالله، فهو تائب عن هواه وشهواته، صابر على ما يبتلى به ويمتحن، زاهد في طلبات النفس، خائف من بُعد حبيبه، راج في إقباله ووصله ووصاله.

إن بين الله وبين المؤمن رباط مكين، وعروة وثقى لا حد لها، وحب لا نهاية له، ورضا لا رضا بعده.

والإنسان المؤمن المحب لله، يجد سعادته في خلوته، وهناءه في وحدته، حيث يخلو إلى نفسه، يناجي ربه، ويشكو همَّه إليه، يشكره على نعمته، فهو يناجيه في فرحه، ويلجأ إليه في حزنه، ويتغنى بالدعاء له، والثناء عليه، والتسبيح والتقديس له عز وجل، ويشعر بأن كل ما في الكون من مخلوقات نغمات مميزة تشترك معه في التسبيح لله عز وجل.

كما أنه يحس أن هناك ألفة ومودة بينه وبين الطبيعة، وجميع المخلوقات الأخرى . . هناك صداقة بينه وبين الكون . . أنه يفهم لغة الكون، والكون يفهم لغته، وهذه اللغة المشتركة بينهما هي التسبيح والشكر لله، والإحساس بآثار حب الله في الوجود كله.

ومن خلال هذا الحب العظيم لله سبحانه وتعالى، يعبد الإنسان المؤمن الله عز وجل، ويتفانى في حبه إلى أقصى درجات العبودية . . فهو يعبد الله ويتقي الله في معاملة غيره من الناس حباً لله العلي الكبير، وليس طمعاً في جنته وخوفاً من ناره.

هذا بالإضافة إلى أن هذا المؤمن المحب لله العلي العظيم . . . لا يسأل إلا الله، ولا يطلب العون إلا من الله، ولا يبث حزنه إلا لله، ولا يلجأ إلا إلى الله، ولا يعبر عن فرحته إلا لله بما أفاض عليه من فضل عظيم، وعطف عميم، ونعيم مقيم.

كما أنه دائماً يطلب من الله عز وجل أن يصقله، ويهذبه، ويقومه، ويؤدبه، ويجعله في الصورة التي يرضى بها عنه . . فهذه المناجاة التي بين العبد وربه، تنبع من حب الله لعبده المؤمن، وحب العبد لخالقه رب العالمين، مما يدخل السعادة في نفس هذا الإنسان المؤمن فيشعر بالأمن والأمان، وينعم بالطمأنينة القلبية بذكره لله، ويهنأ بالسعادة الروحية التي تسري في كيانه كله، فيحس بنشوة كبرى ولذة عظمى لا مثيل لها، فيسعد بطريقه الذي يسير فيه، وبحبه الكبير الذي أصبح كل حياته حيث يحيا به وله.

إن القلب الإنساني النابض بالحب الإلهي، يحس بالذوبان مع حب الله . . إنه شعور وإحساس ونبض يسير في الجسد وينطق بالحب لله والمحبة لله . . حب عظيم رائع جميل، له لذة لا تساويها لذات الدنيا كلها وما فيها من زواج أو نجاح أو شهوة أو غنى أو مركز . . الخ من مباهج الدنيا وما فيها.

ومثل هذا الإنسان يحيا في حالة حب دائم مع الله، يحب حياته لأنها من الله ، ولا يخشى الموت بل يرتقبه في أي لحظة، لأنه رجوع إلى الله، وستحين له الفرصة أن يلتقي بالله بعد شوق وحنين غامر .. إنه يرى الله في كل شيء .. كل شيء ينطق بالله ، ويسبح لله ، ويحمده كلٌ بطريقته .. فإن الله يملأ الكون والوجود .. يملأ الحياة وما بعد الحياة.

ويعتقد هذا الإنسان بأن كل شيء جميل يأتيه فهو من الله ، وكل شر يأتيه فهو من نفسه، ولا بد أنه وقع في الغفلة والخطأ والنسيان

والسهو وغفل عن ذكر الله، ولذلك حل به هذا الشر، إنه البلاء الذي من عند الله، فهو يرضى به لأنه الوسيلة الوحيدة التي تصقل بها نفسه . . إنه دواء مر ولكنه ناجع يصل إلى الأعماق مرة واحدة، إنه في ظاهره مرير وصعب، ولكن في باطنه الاستقرار والتهذيب والتقويم وصقل النفس، وهذا الإنسان الصابر لا يشعر بمرارة البلاء وصعوبته لأنه ينشد السكينة القلبية ، والتهذيب والتقويم النفسي الذي يقوده إلى الله.

وهو يسعد بهذه الحياة التي تغنيه عن الدنيا حيث يشعر بأن حياته كلها بما فيها من سكنات، وحركات، وهمسات، ويقظة هي لله، ومن الله، وبالله، ولا تحيى إلا مع الله، ولا تسعد إلا بالله، ولا تشقى إلا خوفاً من غضب الله.

وتمتزج الأحاسيس في كيان هذا الإنسان المؤمن بحب الله، حتى تصل إلى قمتها، حيث يشعر بالأنس بالله في كل لحظة، مما يقوده إلى الشوق الجارف إلى الله، والحنين المتلهف للقاء الله، فيسجد سجوداً خاشعاً نابعاً من قلب ينبض بالحب لله، يحترق شوقاً له . . يتمزق حنيناً إليه . . يحيى بنوره وعلى أمل لقاءه ورؤيته.

إن الحب الإلهي حقيقة حية في حياتنا، وآية نابضة ناطقة بالحنان أمامنا، ولا نتصور أن تقوم للإنسان حياة دون أن ينبض قلبه بالحب لله والإحساس بآثار هذا الحب.

إن بدايتنا من الله . . . ونهايتنا إلى الله . . .

وما بين البداية والنهاية هو طريق ما يسعى إليه الإنسان .. إما أن يكون طريقاً من نور ... وإما أن يكون طريقاً من ظلام .. إما أن نكون أولياء لله ... وإما أن نكون أولياء للشيطان .

﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم:٣٩]

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

[الشورى:٢٠]

إن الله لم يخلقنا عبثاً . . بل خلقنا لرسالة ولواجب ديني، إذا كان الله القادر الحي القيوم لم يخلقنا عبثاً فكيف نجعل الطريق ما بين البداية والنهاية عبثاً ولهواً ؟.

إن الله خلق آدم ليكون خليفته في الأرض، فلا يمكن أن نكون خلفاء لله في الأرض إلا إذا ارتقينا بسلوكنا نحو الله . . نحو الأعلى . . وهنا لا يتركنا الله بل الإنسان الذي يختار طريق النور . . طريق الحق . . طريق الهداية يكافئه الله ويمن عليه بالأنوار الإلهية والعطايا والهبات . . ويدخل في قلبه الأمن والسكينة، وبذلك يكون هذا الإنسان غنياً بنفسه الحلوة الشفافة، الروحية الصافية، وذلك كله بفضل الله ورحمته.

فـــلا ســـبيل لنـــا إلا الإيمـــان بـــالله
ولا طريـــق لنـــــا إلا طريـــق الله
ولا ثقـــة لنـــا إلا الثقـــة بـــالله
ولا نـــور لنـــا إلا بنـــور مـــن الله
ولا أمن ولا نعيم لنا إلا في حـــب الله

توظيف نعمة الله في سبيل الله

قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣]

والنعمة هي العطاء الإلهي ، والفضل الرباني، والخير يمن به الله على عباده، هبة من عنده سبحانه.

إن الله جل جلاله هو وحده المعطي في الحقيقة . . . يعطي الله تبارك وتعالى للعبد كل شيء . . ابتداءً من نعمة الخلق من عدم، وانتهاءً بنعمة القبول والإدخال في الرحمة.

وللنعمة أنواع كثيرة منها: نعمة الوجود، الهداية، المال، الصحة، العلم، والتوفيق وغيرها من النعم التي ينعم بها الإنسان، ويتمتع بها في الحياة الدنيا.

وهو سبحانه مصدر النعم جميعاً، ونعمة الله إما تأتيك عن طريق:

١. مباشر، كنعمة السمع أو نعمة البصر.

٢. غير مباشر، عن طريق أحد من خلقه.

وهذا هو توحيد النعم، أو توحيد الله سبحانه وتعالى كمنعم، فلا إله إلا هو ، ولا منعم على الحقيقة إلا هو جل جلاله.

وهو سبحانه خلقنا من عدم، ولم يبخل علينا بل أمدنا بكل عطاء. وقد شاء الله لنا أن نعرف أن لكل شيء صانعاً، وهو صانع الإنسان . .

وصنعة الله تتجدد، وتكبر، وتتناسل، وتتحرك ولا حدود لإبداع الله في حركة الإنسان.

إننا نتعلم أن كل شيء مهما كان تافهاً فلابد له من صانع يخلقه، وعلى قدر سمو الصنعة تكون مكانة الصانع.

تتجمد صناعة الإنسان عند حدود وجودها.

وتتألق صناعة الله بلا حدود بأمره هو " كن فيكون ".

ولا أحد من البشر يملك تلك القدرة " كن فيكون ".

ولا أحد من البشر يملك إطلاق الخلق.

ولا أحد من البشر يملك قدرة الخلق من عدم.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبته وعبادته فقال تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧]

منح الله الإنسان سيادة الكون، وفضله على كثير ممن خلقه، ووهبه النعم الظاهرة والباطنة، والتي لا تعد ولا تحصى، وبالرغم من ذلك كان هناك من تشغله النعمة، وينشغل بمتاهات الحياة وزخرفها، وينسى واهب النعمة وفضله عليه ... ... ولأن الذكرى تنفع المؤمنين ...

فلابد أن نذكر ونتذكر دائماً أن المتفضل هو الله، والمنعم هو الله ، والله وحده هو الذي يمن على العبد بكل الخير والإحسان حباً منه عز وجل، وفضلاً منه تعالى.

أليس الله أحق بأن نخشاه، ونعترف بنعمته ونثني على فضله ونسبح بحمده، وخير سبيل إلى ذلك أن نوظف ونوجه نعمته في سبيله ولما يرضاه.

وتوجيه النعمة في سبيل الله يبلور فضيلة الإحسان، فهو من أكبر الفضائل وأجملها، يتأكد به معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولا نقصد بتوجيه النعمة أو الإحسان المال فقط . . . فالإحسان نوعان: ظاهري وباطني.

الظاهري: هو أن تعطي ، أما الباطني: هو أن تعرف أن ما تعطيه من الله، ولله، فلا تشعر أنّ لنفسك فضلاً وأنت تعطي، وأن تؤمن بأن الله هو المعطي على الحقيقة، الموكل لك في العطاء، سواء كان ما تجود به علماً أو مالاً أو براً في العقيدة أو العمل أو الخير، وبهذا يكون الإحسان إيماناً يرفع النفس الإنسانية درجات في التكامل والسمو والرفعة.

والتحدث بنعمة الله شكر، وهو ثمرة من ثمرات التقوى والإيمان ، ومن أفضل أنواع الشكر توجيه وتوظيف نعمة الله في سبيل الله.

فالعبادة، والعمل، والمال، والصحة، والعلم، والمركز، وكل ما تنعم به في الحياة الدنيا من نعم لا تعد ولا تحصى هي عطاء الله لك، ولابد من توجيهها في سبيل الله حباً وشكراً له على نعمه، فترتقي بإيمانك

إلى درجة من درجات الإحسان، فتفيد وتستفيد، ويعم الخير، وتشعر بآلام الآخرين ومتاعبهم، وتشاركهم أحزانهم وأفراحهم، فيرقى المجتمع ونسعد جميعاً بتوجيه نعمة الله في سبيله، ولما يرضاه ويحبه ساعين إلى العمل الصالح، والأفضل دائماً في طريق الله . . . طريق الخير والحق والعدل، طامعين في ثوابه، وحبه، ولمسات حنانه ، آملين في الحياة الكريمة الآمنة المطمئنة.

عطاء الله
ولمسات الحنان الإلهي

إذا سمحنا لأنفسنا أن نتحدث عن الله، وتركنا لأقلامنا العنان لتسطر عطاء الله، وفتحنا لقلوبنا الطريق لتنبض بحب الله . . . وتلمس حنان الله فسنشعر بالرهبة والخشوع والنور يملأ وجداننا والصفاء يحيط بنا، ونصل في النهاية إلى العجز . . . العجز عن الحديث عن الله . . . العجز عن وصف عطاء الله . . . العجز عن التعبير عن فيض الله وعظمة آيات الحب الرباني وروعة لمسات الحنان الإلهي مما يقودنا إلى الإيمان بالله والسجود لله الواحد القهار حامدين شاكرين مؤمنين عارفين ذاكرين فضل الله علينا. ولولا فضل الله علينا ورحمته لكنا من الخاسرين.

يسجد القلب الإنساني لله الواحد الرحمن، ويلهث وتعلو صوت دقاته التي تنبض بسرعة شديدة متسابقاً مع الزمن في حب الله محاولاً أن يسبق القلم ويقفز فوق السطور وكأنه يريد أن يحفر بداخله ويحفظ الكلمات التي تهبط عليه، خائفاً من فقدانها متمنياً أن يسجل ويثبت المشاعر والأحاسيس التي يتفاعل بها ويهتز لها ويذوب معها سابحاً في اشراقات النور التي هي هبة من عند الله وفيض من فيوضات عطائه.

ودائماً يمتزج عطاء الله بلمسات حنانه الكبرى، فهو سبحانه وحده الذي يعطي في الحقيقة، وهو وحده الذي يهب ويمنح ما يشاء ولمن يشاء

ويعرف الإنسان المؤمن أن تذكره الدائم بعطاء الله له وفضله العظيم عليه إنما يحمي نفسه من الأمر بالسوء والشعور بالاغترار والإحساس بالغرور والتكبر، وينجيه من الوقوع في براثن النفس الأمارة بالسوء، والسقوط في حبائل الشيطان، وبهذا الاعتراف الكامل بفضل الله العظيم عليه، لا يعطي لنفسه الأمَّارة بالسوء الفرصة لكي تظهر فيغتر وتمارس وظيفتها وطبيعتها في الأمر بالسوء وإنما يخفيها تماماً وتظهر النفس المطمئنة التي تجد الاطمئنان والأمان في لجوءها إلى الله، وتحس بالحب والحنان في اعترافها الكامل بفضل الله عليها . . . وبنعم الله ولمسات حنانه ، وآيات حبه وفيوضات عطائه، واشراقات نوره، ونسمات تلطفه ، وآثار رحمته، وشواهد فتوحاته العظمى، ودلائل مكاشفاته الكبرى.

وتمضي الأيام ولا يزال فيض الله للإنسان المؤمن ممنوحاً بأمره جل جلاله، وعطائه له مفتوحاً بإذنه سبحانه ولمسات حنانه تحيط به من كل جانب بإرادته ومشيئته عز وجل.. ليقف الإنسان ويتأمل ويتفكر ويتبصر ويتدبر في عظمة الله .. وحنان الله .. وقدرة الله .. ونعمة الله، ويوقن بأن كل ذرة في كيانه تحيى في كل لحظة في عطاء الله وحده ولمسات حنانه سبحانه، مما يجعله يسلك طريقه حباً لله وحده حامداً شاكراً عطائه الكريم له صابراً على ابتلائه . . طامعاً في القرب منه عز وجل . . وليعرف بأن الله أحبه قبل أن يخلقه، وأعطاه قبل أن يسأله، وأنعم عليه بلمسات حنانه قبل أن يدعوه لعله يذكر ويتذكر آلائه الكبرى، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

ورحمة الله تملأ أرجاء الوجود كله . . . وتفتح أبواب الأمل والإيمان والسعادة الروحية أمام كل فرد.

ودائماً عطاء الله للإنسان عطاء عظيم، وحنان الله عليه حنان كريم . . . وتختلف آثار هذا العطاء، ولمسات هذا الحنان من شيء إلى آخر :

- فمنها ما هو نعمة كبرى يقف إزاءها الإنسان المؤمن وقفة تأمل ويحس بالرهبة والخشوع أمامها، وتكون سبباً في إدخال السكينة والطمأنينة إلى قلبه.
- ومنها ما هو مرشدٌ له يدفعه إلى تقويم سلوكه، وتهذيب أخلاقه، وصقل نفسه مما يجعله يشكر الله على لطفه الكريم به.
- ومنها ما هو كشفٌ له يقوده إلى أن يعرف ويتبين ويشهد بنفسه حفظ الله به، وحمايته سبحانه له.

وصور أخرى كثيرة ومختلفة تبلور العطاء الرباني والحنان الإلهي.

وبالرغم من فضل الله العظيم على الإنسان المؤمن إلا أنه يخشى دائماً على نفسه من نفسه. . . فإن النفس أمَّارة بالسوء، وكذلك فهو يذكر نفسه في كل لحظة ويعترف في كل وقت بأن ما به من نعم هو فضل الله العظيم عليه وأنه يحيا بلمسات حنانه سبحانه له، وتلطفه جل جلاله عليه، ورحمته عز وجل به . . . فهو دائماً يرجع الفضل كله لله وحده وليس له الفضل في أي شيء في حياته.

وتشاء إرادته سبحانه أن يفيض من حنانه وعطائه فيخلق الخلق، ويمضي فيض الحنان والعطاء، فيخلق آدم ثم يخلق من آدم وزوجه النوع الإنساني، وتمتد لمسات حنانه الكبرى فيرسل الله بأنبيائه ورسله ويبعث كتبه السماوية إلى عباده يحملها إليهم رسله من البشر حيث يوحيها الله إليهم والتي تدعو جميعها إلى عبادة الله الواحد، وتهدي إلى الحق والخير والرشد .. منها: الصحف التي نزلت على إبراهيم عليه السلام، والزبور الذي أنزل على داود عليه السلام، والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام ، وأخيراً القرآن الكريم . . هدية الله إلى العالمين الذي أنزله سبحانه الله العظيم على رسوله وعبده المصطفى محمد ﷺ .

إن القرآن الكريم هو كتاب الله العظيم . . مأدبة الله التي تسع الناس جميعاً، فيها النور والهدى والحكمة والموعظة الحسنة ، والمثل والعبرة، والتوجيه والمشورة، وأدب المعاملة وفضائل السلوك . . . إنه دستور الحياة الذي يوضح لنا الطريق الأمثل الذي يجب أن نسير فيه للقرب من الله عز وجل ، ويرسم لنا التشريع الأعلى الذي يجب اتباعه حتى نفوز بحب الله ورضاه . . .

إنه حقاً . . هدية الله إلى العالمين.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على آيات العطاء الرباني . . . ولمسات الحنان الإلهي التي هي أثر من آثار حب الله للإنسان.

إن حنان الله يملؤنا ويحيط بنا في كل لحظة . . . فكل شيء من حولنا ينطق بلمسات الحنان الإلهي ونسمات العطاء الرباني التي هي نبع فياض من حب الله الكبير.

القدوة والمثل الأعلى

في عصرنا هذا تختلف المصالح، وتتنازع الصراعات، وأصبح الهدف هو تحقيق المصلحة الذاتية . فانعدمت الثقة، وانحل الترابط، وانفك التعاون، وأصبح كل فرد لا يرى إلا نفسه، ومصلحته الشخصية، وماذا يريد، وإلى أي طريق يهدف دون النظر إلى الفائدة الكلية والنفع العام . . المهم أنا وبعدي الطوفان !

فأصبحت الصورة السائدة محاولة الحصول على الشهوة والطمع الذي لا حد له ولا ينتهي أبداً وبدأ يتسرب وينتشر في المجتمع كالوباء، فأصبح الابن يقتل والديه، والأخ يستغل أخاه، والصديق يكيد لصديقه، والجار يؤذي جاره، كأن لم يعد في هذه الحياة إلا الفساد وصوره، أما النعيم فللأقوى.

وفى الجانب الآخر من المجتمع صورة أخرى تجعلنا نطمئن ونهدأ بالاً ونريح نفوسنا، وهي وجود فئة مؤمنة ترى كل أنواع الفساد وتسخر منه وقلوبها مطمئنة بذكر الله، مليئة بالإيمان العامر واثقة من نصر الله.

هذه الفئة المؤمنة تميل إلى التأمل والتعمق في حقائق الأشياء داعية الله عز وجل أن يعينها وينير بصيرتها إلى الحقيقة، فترى كل صور الفساد وتتأمل وتسأل نفسها:

هل من الممكن أن ينتصر الشر على الخير؟

هل من الممكن أن يستمر المفسدون في الأرض ينعمون بينما المؤمنون يتألمون؟

هل من الممكن أن يكون النعيم من نصيب المفسدين، أما قسمة المؤمنين فهي الآلام؟

وفجأة ترتسم الابتسامة على وجوههم، فيقولون بكل ثقة:

لا . . لا لن يطول هذا أبداً، وفجأة سينتهي هذا الفساد ويحل محله النور والأمان، فإن الله عز وجل يفتن هؤلاء المفسدين في الأرض بالنجاح والتمتع بنعيم الحياة ليعذبهم ويمهلهم إلى أجل مسمى يعرفون فيه أن وعد الله حق وأنهم ظلموا أنفسهم، وخسروا الدنيا والآخرة، أما المؤمنون فسينعم الله عليهم بالسكينة والاستقرار جزاء على صبرهم ولهم ما يشاءون عند ربهم ويمُن الله عليهم بالقرب والرضاء في جنات النعيم.

إن هذه الفئة المؤمنة واثقة من هذه النتيجة، وليس عندهم أي شك في ذلك، ولكنهم يجدون أنفسهم وهم غارقون في بحار التأمل وأعماق البحث يتساءلون:

إذن فما معنى هذا الذي يحدث؟

ولماذا وصلنا إلى هذه المرحلة من الفساد؟

وأخيراً بعون الله وحده وصلوا إلى الداء ومنحهم الله عز وجل الدواء . . أما داء هذا العصر فهو الافتقاد إلى القدوة . كل صور هذا الفساد تحدث وسيحدث أكثر من ذلك لأن هدفنا هو المصلحة الشخصية، ونفتقد إلى القدوة التي يجب أن نقتدي بها.

أما الدواء فهو أنه يجب على كل فرد أن يكون قدوة لمن حوله وأن يكون الهدف هو الله، فيجب أن يكون الرجل قدوة في بيته، والأم قدوة لأولادها، والكاتب قدوة في كتاباته وفي تجسيده للشخصيات التي يكتبها وتصويره للقيم والمبادئ الواجب التحلي بها، والصحفي قدوة في فهمه للأمور ومحاولة تصحيحه للأوضاع وإبراز مساوئ العصر الذي نعيشه، وكيفية علاج هذه المساوئ – إن الكلمة أمانة ورسالة فإذا لم يستطع الكاتب أو الصحفي أن يتحملها ويؤديها بكل شجاعة بعيداً عن أي رغبات أو أهواء شخصية فلا داعي لأن يمسك القلم ويكتب فنحن لا نريد شعارات وكلمات بعيدة عن الواقع والمثل الأعلى ، وإنما نريد سلوكاً وعملاً وأخلاقاً يحتذى بها ويجب أن تكون الكلمة صادرة من القلب وتتميز بالصدق فما خرج من القلب وصل إلى القلب، وهنا ستؤثر تأثيراً فعالاً وإيجابياً على المجتمع ككل – وكذلك الصانع والزارع كل في مجال عمله . . يجب أن يكون قدوة لنفسه ولمن حوله ولا يطلب الالتزام من غيره وهو غير ملتزم! ولا ينادي غيره بالسير في الطريق القويم وهو بعيد عن الصراط المستقيم! ولا يطلب الأمانة من غيره وهو غير أمين، ولا يدعو إلى الصدق وقول الحق وهو كاذب، ولا يهتف بالعدل وهو ظالم، ولا يأمل في الرحمة وهو غليظ القلب تجردت حياته من أبسط ألوان الرحمة والشفقة!!!

إن فاقد الشيء لا يعطيه . . فليكن كل شخص قدوة أمام نفسه ولمن حوله ويراقب الله في كل أفعاله قبل النظر إلى الغير ومحاسبة الآخرين وإعطاء الأوامر لهم.

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة:٤٤]

ولقد منحنا الله عز وجل البلسم الشافي، والدواء المعافي لكل أمور حياتنا، وهو هدية الله رب العرش العظيم إلى العالمين " القرآن الكريم " لنتخذه نبراساً يضيء لنا الطريق، وشعاعاً ينير لنا الحياة ويكشف لنا عن حقيقة كل شيء نبحث عنه.

ولقد دعانا الله رب العالمين في كتابه العظيم إلى الاقتداء برسوله الكريم محمد ﷺ في جميع أموره وشئون حياته وأن نأخذه مثلاً أعلى وأسوة حسنة نقتدي بها متمسكين مؤمنين بالله عز وجل مقتدين بالأخلاق الكريمة التي دعانا الله عز وجل إلى التحلي بها آملين في عونه ورحمته، راجين أن يشملنا بلمسات حنانه الكبرى:

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النحل:٦٠]

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

[الأحزاب:٢١]

فنأمن شر الطريق، ونسلم من شياطين الإنس والجن الذين يعيثون في الأرض فساداً، ونسير جنباً إلى جنب مع المؤمنين الصالحين الذين

يحبون الله وكل شيء في هذا الوجود لأنه صنع الله، وأثر من آثار رحمته وحنانه وحبه وعطفه الشامل، والذين يجاهدون في هذه الأرض لمحاربة الفساد والطغيان على الظلم آملين بانتشار النور والأمان والاستقرار دون النظر إلى أي مصلحة ذاتية أو رغبة شخصية وإنما يعملون ويجاهدون حباً ومرضاة لله عز وجل ، ونصرة لدين الله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد:٧]

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحج:٣٨]

إن القدوة الطيبة شمعة يملكها كل فرد ويستطيع أن يضيئها فتضاء حياته، كما يستطيع أن يطفئها فتنطفئ شمس حياته، وإني لأعتقد أنه لو حرص كل إنسان على أن يؤدي واجبه بالصورة المثلى التي تؤهله أن يكون قدوة لغيره . . فإننا سنكون بذلك من أفضل المجتمعات، وسيمن الله علينا بالفتح والبركات. ليس العيب في الظروف ولا الأيام . . فالأيام تحمل كل الخير وكل الرخاء ، ولكن العيب في أنفسنا فلنسارع لإصلاح نفوسنا ونترجم هذا الإصلاح عملياً في الأخلاق والسلوك والعمل:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴿١١﴾ ﴾

[الرعد:١١]

فنجني ثمار هذا الإصلاح ويعم بلادنا الرخاء والرفاهية، والتقدم.. فتهدأ نفوسنا، وتطمئن قلوبنا، وترتقي حياتنا.

"اللهم اجعلنا من المؤمنين الصالحين الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلاماً. الذين يتخذون من كتاب الله مثلاً أعلى يقتدون به، ورسول الله محمد ﷺ أسوة حسنة يتأسون بها، واهدنا إلى العمل الصالح الذي ترضاه لنا فنكون قدوة طيبة لأنفسنا ولمن حولنا، وأنر بصيرتنا، وأعنّا على من ظلمنا، واحمنا من شر أنفسنا وشر الناس، ونجنا من همزات الشياطين، واصرف عنا عذاب جهنم، واشملنا بلمسات حنانك وآيات رحمتك... يا أرحم الراحمين ... يا رب العالمين"

من الهدي النبوي

لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام، أول معالج نفسي، حيث قام ﷺ بتشخيص الأمراض البدنية التي ألمت ببعض أصحابه ووصف العلاج المناسب لها، وربط ﷺ بين العلاج البدني، والعلاج النفسي، فنصح بعض أصحابه مثلاً ممن شعر منهم بألم في بطنه أو آلام في رأسه بالصلاة أو الاستعاذة، أو باستخدام الرقية، أو بذكر بعض آيات القرآن كالمعوذتين، وآية الكرسي، وغير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.

ومن هديه عليه الصلاة والسلام، شرحه لأهمية إشعار المريض بالأنس عند الدخول عليه، وتأثير تطييب النفوس في الإحساس بالأمن والسكينة القلبية.

روى ابن ماجة في سننه – من حديث أبي سعيد الخدري – قال: قال رسول الله ﷺ :

" إذا دخلتم على المريض: فنفسوا له
في الأجل، فإن ذلك لا يرد شيئاً، وهو
يطيب نفس المريض"

في هذا الحديث نوع شريف جداً من أشرف أنواع العلاج، وهو الإرشاد إلى ما يطيب نفس العليل من كلمات وأقوال، وأحاديث تكون بمثابة البلسم الشافي للمريض، بها يتقوى على المرض.

لقد كان الرسول ﷺ بحق أول طبيب نفسي يشفي العليل عند عيادته، ويبرد حر المصيبة على المكلوم، ويخفف ألم الفراق على اليتيم، ويسكن خوف النفوس.

كان ﷺ، إذا دخل على مريض يقوم بالآتي:

أولا : يسأل المريض عن شكواه.

ثانياً : يسأل المريض عن حاله ومدى تحمله لمرضه وكيف يجد نفسه مع المرض.

ثالثاً : يسأل المريض عما يشتهيه من مأكل ومشرب وخلاف ذلك.

رابعاً : يضع يده على جبهة المريض، أو على صدره أو(بين ثدييه)

خامساً : يدعو له.

سادساً : يصف له ما ينفعه في علته.

سابعاً : كان يتوضأ أحياناً ويصب على المريض من وضوءه.

ثامناً : كان يقول للمريض دائماً:

" لا بأس، طهور إن شاء الله تعالى"

وهذا كله من كمال اللطف وحسن العلاج والتدبير.

إن لتفريج نفس المريض، وتطييب قلبه، وإدخال ما يسره عليه، ونشر البهجة من حوله التأثير الفعال في شفائه، أو تخفيف علته، مما يترك أثراً حسناً في نفس المريض.

ونحن في أشد الحاجة في مثل هذه الأيام، التي طغت فيها المادية وحب الجاه والسلطان على النزعة الإنسانية ، وأغلقت فيها أبواب

الرحمة إلى النماذج الطيبة ذات القلوب الرحيمة، والنفوس الحكيمة، التي تتمثل بالرسول عليه الصلاة والسلام، وتسير على طريقه، وتتبع منهجه، وتقتدي به في كلامه وأفعاله وأعماله، وفي معالجته الروحية والنفسية التي تشفي القلوب والنفوس جميعاً.

ملوك العلم والحضارة

تطفو على السطح في هذه الأيام ظاهرة غريبة هي دعوة فاسدة خفية تنتشر في المجتمعات الإسلامية والعربية تدعو إلى أن التمسك بالدين والارتباط بالقيم الروحية والمثالية، طريق التأخر والتخلف، أما الاتجاه إلى الماديات والأخذ بالأسباب والظواهر المادية، فهو طريق الحضارة وسبيل التقدم والرخاء.

ولنقف هنا وقفة تأمل طويلة، لعلها توقظنا من غفلتنا، لنعيد حساباتنا مرة أخرى، ولنعلم أنها دعوة خطيرة موجهة إلى المسلمين في كل مكان هدفها البعد عن طريق الله.

ولنرجع بأذهاننا ووجداننا إلى الوراء .. إلى عهد ظهور الإسلام عندما كان المسلمون يتمسكون بدين الله، وشريعة الله، ويغرفون من كنز الحياة الروحية والارتباط بالقيم والمثالية.

ماذا أثمر إيمانهم بالله، وحبهم له وحده الذي كان يجري في عروقهم ودمائهم؟

فلقد أثمر عن حقيقة ثابتة عبر الأيام والسنين . . شاهدة على نفسها في الماضي والحاضر والمستقبل بإذن الله وأمره، وهذه الحقيقة هي أن أصبح المسلمون وقتئذ بهذا الإيمان الحي النابض بحب الله وحده والسعي إليه وحده . . ملوك العلم والحضارة . . رواد التقدم والرخاء . قواد الأمن والسلام.

فلقد ولد الإسلام عملاقاً، ولم تمر أكثر من مائتي سنة على ميلاده، إلا وأصبح المسلمون يقفون على أحوال العالم ، ويتصدرون باعتبارهم الأئمة على مفاتيح الفنون والعلوم.

إن الفكر السليم ينبع دائماً من الفطرة السليمة، والفطرة السليمة تواكب الدين، والدين القيم هو قمة الحقيقة والمعرفة، فإذا ابتعد الإنسان عن حقيقة الدين ، فكأنما ابتعد عن النور الذي يهديه سواء السبيل، ولا يهتدي أبداً إلى الحق الذي هو غاية كل إنسان في الوجود.

فإذا جنى المفكر المسلم ثمار طاعته لله ، فإنه سيقدم لنا مما لا شك فيه إضافات صادقة ومعانٍ عميقة تعطي للوجود معنى، وللحياة رسالة ، وعلى الإنسان أن يؤدي هذه الرسالة وهو مطمئن النفس، إلى أن الله معه يؤيده ويثبت قلبه.

لقد سبق العلماء المسلمين العالم كله بقرون عديدة، حيث بحثوا في جملة من العلوم، وفي تخصصات مختلفة مما ينم عن غزارة معارفهم، وشمولية نظرتهم، واكتمال فكرهم، وهذه ثمرة طيبة لاستقاء علومهم من القرآن الكريم والسنة المحمدية.

ومن هذه العلوم التي نبغ فيها العلماء المسلمون وكان لهم السبق الأول في بناء الحضارة الإسلامية:

التشريع، التربية والأخلاق، الاجتماع، الأنثروبولوجي، علم النفس، الطب، الصيدلة، الكيمياء، الطبيعة، الفلك، الرياضيات، الميكانيكا، الموسيقى.

ولقد أخذها عنهم غيرهم من الأمم والشعوب، وتقدموا بها حتى وصلوا إلى حضارة القرن العشرين.

إن لكل حضارة من الحضارات دور قامت به، وما كانت لحضارة أن تسبق حضارة أخرى في دورها، فالحضارة التالية تأخذ من الحضارة السابقة وتزيد عليها، وهكذا أيضاً في مجال العلم، فلولا البيروني والخوارزمي وابن الهيثم وابن حيان وابن سينا وابن يونس، وغيرهم من الأفذاذ من العلماء المسلمين، ما كان جاليليو وكوبرنيكوس ونيوتن وديكارت.

فلولا عصور الحضارة الإسلامية وأبحاث العرب العلمية، التي بدأت في القرن الثامن الهجري . . . لما بدأت الحضارة الأوروبية في القرن العشرين أو ربما لم تكن على الإطلاق.

ونعلم جيداً بأن الحضارة الغربية الحديثة قد استقطبت علوم المسلمين وتوصلت بفضلها إلى اكتشافات جديدة ومخترعات حديثة، الأمر الذي جعل من دولها الفقيرة دولاً غنية ومن شعوبها الفقيرة شعوباً قوية معتزة بنفسها واثقة في ذاتها.

إلا أن الحضارة الغربية لم تستطع أن تنفذ إلى روح التراث الإسلامي أو تتعرف على سر حضارة المسلمين حيث أنها لم تغنم منها إلا الجانب المادي فحسب، أما الجانب الروحي من الحضارة الإسلامية، فلم تستطع أن تقلده أو تلمسه، ولذلك لم تنجح إلى الآن في العثور على القيم والمفاهيم والمثل العليا التي كانت تحرك ضمير الأمة الإسلامية إبان حضارتها الزاهرة التي استمرت قروناً عديدة.

نحن في أشد الحاجة لأن نستفيد من الجانب المادي من الحضارة الغربية، لتطوير مجتمعاتنا باستخدام الوسائل والأساليب الحديثة التي سبقنا الغرب إليها، لكننا يجب ألا نغفل عن الجانب الروحي، والذي به تتكون ذاتية الأمة وتحدد مفاهيمها وأخلاقياتها، ومثلها العليا.

من الصعب على الحضارة الغربية أن تنفذ إليها مهما استخدمت من الوسائل والتجارب، إلا أنه سهل وميسور علينا، حيث أنه صادر من الينبوع الذي لا ينضب، وهو كتاب الله وسنة رسوله الأمين.

إننا لن نبذل جهداً كبيراً في الوصول إلى سر التقدم المذهل للمسلمين إبان حضارتهم الزاهرة، إذا كان رائدنا حقاً التمسك بأهداب الدين والعمل بشريعة الله.

إن سر تقدم المسلمين إنما هو تطبيقهم لشريعة الله، والعمل بها ظاهراً وباطناً، ومتى كان حكم الله قائماً ، وجد التحضر والرخاء، ومتى بطل العمل بحكم الله، وجد التأخر والانحلال والمجاعات.

وإن أعداء الإسلام يعرفون ذلك جيداً ، ولهذا فهم ينشرون هذه الدعوة الفاسدة بأن التمسك بالدين والاهتمام بالجوانب الروحية إنما هو طريق التأخر والتخلف، وإنما الاهتمام بالماديات هو طريق التقدم والحضارة.

وهذه دعوة خطيرة تسعى إلى الفساد والبعد عن الله ، وتهدف إلى تأخر المسلمين وتخلفهم ، وانقطاع أي سبيل من سبل التقدم والرخاء عنهم، وانعزالهم عن جوانب الحياة الزاهرة المتطورة.

مما سبق يتضح لنا أن العلماء المسلمين كانوا حقاً ملوك العلم والحضارة، وهم الذين فتحوا الباب نحو التقدم والرخاء بأمر الله، وبفضل تمسكهم بالدين ، وإخلاصهم في عملهم، حباً لله وحده، وهذا يبلور لنا حقيقة هامة وهي:

أن التمسك بالدين ضرورة لا استغناء عنها أبداً، وأن الارتباط بالقيم الروحية والمثالية يجلب لنا الكثير من الخير ، وهو سبيلنا إلى التقدم والرخاء، أما ما يُقال من دعاوى فاسدة بالاتجاه إلى الماديات والعلم فقط، والابتعاد عن الدين والقيم الروحية، هو دعوة خطيرة لن نجني منها إلا التأخر والتخلف والخراب، والدمار وسيحل غضب الله علينا، فليرحمنا الله . . . ويهدينا إلى سواء السبيل.

التأمل نبض الحياة

لقد دعانا الله جل جلالـه فـي كتابـه العظيـم " القـرآن الكريـم " إلـى التأمل، والتفكر، والتبصـر، والتدبـر، والتعقـل فـي آيـات الله فـي الكـون، والحياة، والوجود، وأن نتعلم مما يدور حولنا ويجري أمامنـا مـن أحـداث هي دروس فيها العظة والعبرة.

فالتأمل هو نبض الحياة، وإذا توقف الإنسان عـن التـأمل . . توقفت نبضات حياته عن العمل، وفقد معنى كل شيء جميـل يسـتطيع أن يشـعر به، ويتفاعل معه كيانه كله، ثمـرة لتأملـه، فتصبـح أيامـه هبـاء ولحظـات عمره سُدى.

إننا لا نريد أجساداً تأكل وتشرب بـلا تـأمل ولا تعمـل، وإنمـا نريـد عقولاً تتأمل وتفكر في خلق الله . . وعظمة الله . . وقدرة الله . . فتثمر لنا الخير بأمر الله، وقلوباً تنبـض بحـب الله فـتزرع لنـا الجمـال فـي الأرض بفضل الله.

إننـا لا نريـد أناسـاً تغلـق علـى نفسـها الأبـواب لكـي تقيم الشـعائر والعبادات فقط، وإنما نريد أناسـاً تؤمـن بـالله وتحـب الله . . وتعبـد الله . . وتعمل لله . . وتتأمل في عظمة الله وآيـات صنعـه وخلقـه . . وتتفكـر فـي آفاق الوجود بأكمله فتنتج لنا الرخـاء والخـير، وتبيـن لنـا ثمـار تأملاتـها، فتعم الفائدة على الجميع.

لقد أودع الله سبحانه وتعالى من الأسرار الخفية في القلب ما يكشف حقيقة الإنسان، والسبيل الذي يسلكه، فهو جهاز شفاف نوراني زود الله به الإنسان ليميز به بين الحق والباطل، ويفرق به بين الصواب والخطأ، ويوضح له طريق الهدى من طريق الضلال.

والقلب الإنساني الذي يملؤه حب الله ويسكنه نور الله ويشغله ذكر الله . . هذا القلب النوراني يدعو الإنسان دائماً إلى التأمل، ويقوده إلى التفكر، ويعلمه التدبر، ويحثه على التبصر في كل شيء من حوله، صغيراً كان أم كبيراً، مرشداً وموجهاً له بضرورة الإخلاص وأهمية الصدق والصفاء في تأملاته، فيمنُّ الله على هذا القلب النوراني بفتح أبواب له على طريق الفكر والتأمل، فيهديه إلى سبيل الله.

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩]

فالتأمل هو نبض الحياة .. هو الحب .. هو الإيمان .. هو المعرفة .. فالحب يولد الرغبة في المعرفة . . فإذا عرفت تأملت، وإذا تأملت اقتربت، وإذا اقتربت أحسست بنبض الحياة، وقيمتها، وحلاوتها فازددت إيماناً وقرباً وحباً للخالق المبدع الذي أحسن صنع كل شيء، رب العالمين، رب العرش العظيم.

تأمل في عظمة خلق الله التي تشهدها، في الجبال والأودية، انظر كيف أقامها الله رواسي شامخات، وجعل فيها على الرغم من جمود شكلها الخير الكثير للإنسان من معادن وأحجار وخلافه.

تأمل عند أدائك العمرة أو الحج في ملابس إحرامك البسيطة التي ابتعدت بها عن زخرف الحياة طاعة لله وحده، أليس فيها ما يذكرك ببدايتك، ولدت عارياً فكساك الله من خير، وعندما تموت لن تلف إلا بكفن يشبه هذه الملابس . . . أليس في تأملك عظة وعبرة.

ماذا تساوي حياتك دون طاعة الله وحب الله . . . لن تأخذ معك في قبرك شيئاً سوى أعمالك هذه، وطاعتك هذه، وكما قال رسول الله ﷺ:

{ إذا مات ابن آدم انقطع عمله من الدنيا إلا من ثلاث:
صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له}.

كيف تكون الصدقة إلا بطاعة الله . . وكيف يكون العلم نافعاً إلا أن يكون في خدمة دين الله ، وكيف يوجد الولد الصالح إلا إذا نشأ في طاعة الله مع أبوين يطيعان الله.

تأمل في شهيقك وزفيرك، الفرق بينهما لحظات قد يمن الله بها عليك فتبقى حياً، أو يمنعها الله عنك فتصبح بين يديه الكريمتين.

فماذا قدمت لغدك عند الله – أموالك فيما أنفقتها؟ عمرك فيما أفنيته؟ صحتك فيما أبليتها؟

تأمل في عظمة الكون حولك. . في دقة هذا الكون. . في جماله . . الشمس والقمر والكواكب والنجوم كلها تسير في نظام دقيق . . لو اختل بمقدار سنتيمتر واحد لاحترق كل شيء واختفت الأرض بمن عليها.

فمن الذي أحكم صنع هذا ؟ تأمل . . . وتأمل . . . وتأمل.

نعم لا تحصى . . وأشياء لا تُعد . . ولو أردنا أن نحصي ما هو جدير بالتأمل الوجداني والفكري للمؤمن فلن يكفيه ملء الأرض من صفحات وسطور.

إلا أنها مجرد دعوة لك . . أن تتأمل في خلق الله . . متذكراً أن البشرية كلها تقدمت للأمام بالتأمل والتفكر في أشياء خلقها الله، وإن كان التقدم التكنولوجي والعلمي جاء نتيجة تفكير وتأمل من بشر بعضه مؤمن وبعضه غير مؤمن . . فنحن المسلمون أولى الناس بالتفكر والتدبر، وأولى الناس بأن نكون في مقدمة العلماء والمفكرين.

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر:٢٨]

وطالما أننا نسلك طريق الله مجاهدين مجتهدين، باحثين متأملين في صنع الله . . . وآيات الله . . . وقدرة الله . . . وعظمة الله . . . آملين في عون الله فمما لا شك فيه أن الله سيهدينا إلى سبله بسلطان منه هو وحده، وبأمره هو وحده إلى اكتشاف الجديد في آفاق الكون والحياة والوجود مما يعود على البشرية كلها بالخير والنفع يزيدنا وينيرنا الإيمان به وحده، فيمن الله علينا ببركات وخير من السماء والأرض هو رزق الله .. وهبة الله . . . ومنته تعالى إلى عباده الصالحين.

وكما أن الإيمان هو نور الحياة

فإن التأمل هو نبض الحيـــاة.

الأسرة ودورها في التنشئة الاسلامية

يستمد منهج التربية الاسلامية من النبع الفياض . . هدية الله عز وجل إلى العالمين القرآن الكريم الذي يرسم لنا الصورة المثلى النابضة الكاملة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان فيستحق أن يكون خليفة الله في الأرض ، ويرشدنا إلى الأسوة الحسنة التي يجب أن يقتدي بها الإنسان ويتخلق بأخلاقها متمثلة في رسول الله ﷺ فيسير على طريقه ويتعلم من منهجه في الحياة.

إن بناء الإنسان الصالح في الإسلام يساعد على تكوين الأسرة الصالحة التي تهدف إلى تحقيق صلاح المجتمع وتقدمه . . . فالأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع ، بل تعتبر اللبنة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع كله، ولا تتكون الأسرة الصالحة إلا باتباع المنهج الرباني الذي منح كل فرد الإجابة الشافية والمعرفة الوافية بالطريق الواجب اتباعه، والسلوك الأمثل الواجب الاقتداء به، والخلق الفاضل الواجب التحلي به مما يضمن الاستقرار والأمان.

ومن هنا يتبلور لنا الدور الهام الذي يجب أن تقوم به الأسرة وأثرها البناء في التمسك بهذا المنهج الإلهي الفريد والعمل على تنشئة التربية الإسلامية وغرس مفاهيمها ومبادئها في نفوس أبنائها.

هناك حقيقة هامة يجب أن نعترف بها وهي أن تربية الأطفال لمن أشق الواجبات وأخطرها وأدقها ، ولذلك فإن المسئولية الكبرى تقع على

الأم، وهي مسئولية خطيرة لا يستهان بها . . فهي صمام الأمان وينبوع الحب والحنان . . إنها المنبت الرئيسي والبذرة الطيبة إن صلحت أنبتت فروعاً وأزهاراً مثمرة :

الأم مدرسة إن أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

ولا شك في أن للأم دوراً كبيراً وأثراً عظيماً في تربية الأبناء التربية السليمة الصحيحة، وليس هناك أفضل من تنشئة الأبناء على التربية الإسلامية وذلك من خلال:

إفهامهم الدين الإسلامي بأسلوب مبسط جميل، وإخبارهم بقصص الأنبياء بطريقة محببة مشوقة تهفو إليها نفوسهم، وإرشادهم إلى نماذج في صورة حكايات تعبر عن الأخلاق القرآنية كالأمانة ، والصدق وحب الخير وغيرها، وتعليمهم الآداب التي حث عليها الدين الإسلامي مثل أدب الأكل والشرب - أدب الزيارة والاستئذان - أدب التحية واللقاء - أدب المشي والجلوس - أدب الحديث إلى غير ذلك من الآداب الإسلامية، وتعويدهم على ذكر الله الدائم كأن ينام الطفل ويستيقظ على ذكر الله - وأن يبدأ أكله بسم الله ويختمه بالحمد لله، وتشجيعهم على قراءة الكتب الدينية منذ الصغر إلى غير ذلك من أسس ومفاهيم وأصول ومبادئ التربية الإسلامية، فتضمن لأبنائها طريقاً آمناً سليماً ، مطمئنة عليه باتباعهم والتزامهم بمنهج التربية الإسلامية بكل ما فيه من أخلاقيات وآداب وتعاليم ترشد وتهدف إلى تكوين الشخصية القوية السليمة المستقيمة التي تهدف إلى الخير وتعمل من أجل البناء والتقدم.

مما سبق يتضح لنا أن للتربية الإسلامية جانبان هما:

جانب يتعلق بالأخلاق القرآنية ، والآخر يتعلق بالآداب الإسلامية. كما يتبين لنا أن للأم دوراً خطيراً وأثراً فعالاً في تنشئة أبنائها على أخلاق القرآن وغرس المفاهيم والآداب الإسلامية في نفوس أبنائها حتى تكون طباعاً ملازمة لهم.

والأم بهذا الدور العظيم تساهم في بناء المجتمع بناءاً سليماً مما يساعد على تقدم الأمة، فإذا لاقى الأبناء التربية السليمة والتوجيه الصحيح فلا خوف على أمتنا لأنها ستكون بأبنائها أفضل وأعظم أمة ، وليس هناك أفضل من التربية الإسلامية ولا أعظم من التوجيه الرباني، والأمة الإسلامية التي تتبع المنهج الإلهي وتلتزم بآدابه وأخلاقياته هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر:

قال تعالى :﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤]

ولا نستطيع أبداً أن نغفل أو ننكر دور الأب في احتضان هذه المدرسة التعليمية الصغيرة والإظلال عليها بحبه وخبرته وحكمته وإرشاده وتوجيهه التوجيه السليم البنّاء الذي يبني ولا يهدم ويغير إلى الأفضل ، فيضمن الحياة الكريمة لأبنائه ويسعد بتحقيق رسالته من تربية

أبنائه التربية الإسلامية الصحيحة. . . فهو شمس الحياة ومبعث الاستقرار لهذه الأسرة.

وهناك أمر هام لا نستطيع نسيانه أو إغفاله مما يساعد مساعدة قوية على إنشاء التربية الإسلامية الصحيحة وتقويتها في نفوس الأبناء وهو مراعاة الوالدين لبعض الأمور مثل:

الاهتمام جيداً بثقافتهما الإسلامية لتلقينها إلى الأبناء مع مراعاة اختلاف مراحل أبنائهم التعليمية وتفاوت تفكيرهم العقلي، ومراعاة سلوكهما أمام الأبناء والاهتمام بكل تصرف يصدر منهما، حيث أن الأبناء ينظرون إليهما باعتبارهما قدوة ومثلاً أعلى يجب الارتباط والاقتداء به ، فيقلدوهما في كل شيء صغيراً كان أم كبيراً ، والاهتمام الدائم بالتحلي بالخلق الكريم والأدب الحميد إلى غير ذلك من الأمور التي تؤثر في الأبناء تأثيراً قوياً وتحقق الهدف المنشود من إنشاء التربية الإسلامية وهو بناء شخصية قوية مترابطة تعرف طريقها .. ثابتة تعلم وجهتها .. سائرة تحقق آمالها وطموحها في الحياة فتكون الشخصية البناءة النافعة لنفسها ولمجتمعها.

فلا أمل في أبناء بغير آباء صالحين يحملون الأمانة ويعرفون واجبهم ويقدرون مسئوليتهم نحو ربهم وأبنائهم ومجتمعهم ، ولا مستقبل لمجتمع يقوم أفراده على الاهتمام بتطبيق عادات الغرب وتقاليده وينسى أو يتناسى الاهتمام بتطبيق تعاليم الإسلام وآدابه وأحكامه.

إن منهج التربية الإسلامية هو الهيكل التنظيمي الكامل المتكامل الشامل الذي يقوم عليه بناء الفرد لنفسه مما يساعد على تكوين الأسرة الصالحة التي توفر البيئة السليمة التي تقود الإنسان إلى الحياة الكريمة الآمنة المطمئنة.

المؤسسات التعليمية ودورها في بناء التربية الإسلامية

" العالم والمتعلم شريكان في الخير"

حديث شريف

يهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالعلم، ويرتفع ويسمو به سمواً عظيماً:

قال تعالى : ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾ [المجادلة:١١]

ويرتبط العلم في الإسلام بخدمة الناس والانتفاع به في أفعال الخير وصالحات الأعمال.

والعالم في الإسلام هو الذي يقرن علمه بالعمل الذي يؤدي إلى الصلاح والإصلاح، والبناء والعمران . . ويهدف إلى سبيل الرشد والخير، وطريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وطالب العلم في نظر الإسلام شريك للعالم في الخير، ويدعو رسول الله - ﷺ - الى طلب العلم، لأنه السبيل الأمثل لنموذج الحياة الأفضل، ولا شك أن طلب العلم والمعرفة والبحث عن الحقيقة يزيد من إيمان الإنسان إيماناً قوياً إذ يجعله يشهد بوحدانية الله عز وجل، وربوبيته وقدرته العظيمة . . فيقترب من اليقين، ويميز بين الحق والباطل، ويفرق بين الصدق والكذب.

يقول الرسول ﷺ :

"سارعوا في طلب العلم، فالحديث من صادق خير من الدنيا
وما عليها من ذهب وفضة" رواه الرافعي

وأشرف العلوم هو العلم الإسلامي، ومن أفضل ثماره المعرفة بمبادئ وأصول التربية الإسلامية الصحيحة التي تهدف إلى بناء الإنسان بناءاً سليماً صالحاً قوياً كما أراده الله عز وجل أن يكون ليستحق شرف الخلافة في الأرض.

إن هدف أي أمة تحرص على تقدمها وازدهارها هو إنشاء جيل قوي صالح متعلم مثقف واع بمفهوم التربية الإسلامية وما تنشئه من غرس للقيم والمبادئ والمثل العليا، فيسمو الإنسان بنفسه حيث خلقه الله عز وجل في أحسن تقويم، ويرتفع بمستوى مجتمعه بآداب التربية الإسلامية التي أصبحت طباعاً ملازمة له في سلوكه مما يجعله يؤثر في كل فرد من حوله وبذلك يكون هذا الإنسان قدوة صالحة يقتدى به.

ومما لا شك فيه أن للمؤسسات التعليمية من المدرسة إلى الجامعة دورها الكبير في إخراج هذا الجيل الصالح الواعي الذي يستطيع أن يحمل الأمانة ويقدر المسئولية ولن يتحقق ذلك إلا بما يلي:

١. إدخال مادة التربية الإسلامية في جميع المراحل التعليمية المختلفة، واعتبارها مادة أساسية لا يحق للطالب الانتقال إلى المرحلة التالية إلا بعد النجاح فيها.

٢. بث الروح الإسلامية وفهم أصول الدين الإسلامي فهماً صحيحاً.

٣. غرس مبادئ التربية الإسلامية في نفوس أبنائنا، وما تنشئه هذه التربية من قيم العدل، الإحسان، الطاعة، الإخاء، المساواة، التعاون، العفو، الرحمة، المحبة، الاستقامة، كظم الغيظ، الوفاء، حب الخير، الأمانة، الصدق، الصبر، الصفح الجميل، إلى غير ذلك من الأخلاق الطيبة والأعمال الصالحة المستمدة من القرآن الكريم والسنة المحمدية الشريفة.

٤. الأخذ في الاعتبار عند تدريس تعاليم الإسلام للأبناء مراعاة اختلاف أسلوب التعليم في المراحل التعليمية المختلفة، من مرحلة إلى أخرى، واختلاف الأعمار، وتفاوت مستوى التفكير العقلي للطالب.

٥. الاهتمام بطريقة التعليم حيث يجب أن تتميز بالإطار المحبب المشوق حتى نضمن حب الأبناء لدينهم ومحاولة معرفتهم المزيد عنه.

٦. العناية بربط مبادئ التربية الإسلامية بالسلوك العملي في الحياة، وبذلك نصل بالتربية إلى هدفها المنشود كسلوك وعلم وعمل وحياة وفكر وأخلاق.

إن الهدف الرئيسي للتربية الإسلامية هو ربط الإنسان بربه خالقه وفاطره، وآداب التربية الإسلامية هي آداب ربانية يعلّمها الله عز وجل

لعبده حتى يقتدي بها فتصبح نبراساً يضيء لـه الطريق، ونوراً يبصره بحياته، وسبيلاً يجب اتباعه بما يتفق وعقيدة الإسلام.

إن الأزهر الشريف يعتبر رائداً ومناراً للإسلام، وهو القائد لرحلة الدعوة الإسلامية في الحياة، وربان سفينة تعاليم الإسلام التي تقود الإنسان إلى بر الأمان.

فليس هناك مجالٌ للشك في أن للأزهر الشريف أكبر الأثر وأعظم النفع في بناء التربية الإسلامية وذلك من خلال كونه أكبر جامعة إسلامية تهدف إلى:

١. تعليم أصول الدين الحنيف، وتوضيح أحكامه، وإظهار آدابه وأهدافه، والتعرف على أسرار شريعته.

٢. نشر الدين والدعوة الإسلامية في مصر والعالم الإسلامي كله.

٣. إحياء التراث الإسلامي القديم والمحافظة عليه.

٤. العمل على نشر مفهوم التربية الإسلامية الصحيحة ومبادئها وأهدافها والشروط الواجب توافرها في المربي الصالح سواء في الأسرة أو المدرسة أو المجتمع ككل.

٥. إنشاء المعاهد الدينية الأزهرية وتطوير رسالتها بحيث تشمل جميع أنشطة الحياة.

٦. عقد الندوات الدينية القائمة على الحوار المفتوح والمناقشة الحرة البناءة للإجابة على أي تساؤل يحير أي فكر، معتدلاً كان أم منحرفاً يريد أن يتفقه في أمر دينه.

٧. عقد المؤتمرات الإسلامية التي تعالج الموضوعات الدينية، والعمل على نقل صورة حية كاملة عنها بواسطة وسائل الإعلام.

إلى غير ذلك من الأهداف الأخرى التي يقوم بها الأزهر الشريف لخدمة الإسلام والمسلمين.

وبالتالي نضمن إخراج جيل مسلم مؤمن قوي عارف بربه سليم في معاملته وعلاقاته مع الآخرين مؤسساً تأسيساً دينياً صالحاً، لديه قاعدة عريضة من الإيمان الإلهي وما يستتبعه من قيم ومثل عليا، وسمو في الأخلاق، ورقي في الآداب.

مما سبق تتضح لنا حقيقة هامة وهي أن الأزهر الشريف لا يعتبر جامعة علمية الغرض منها تلقي العلم الإسلامي فحسب، وإنما يتسع دورها ليشمل العلم والعمل معاً، حيث تخدم المسلمين بتعليمهم الدين الإسلامي، وتعمل على نشر الدعوة الإسلامية في كل مكان، وما يتبع ذلك من تعاليم وآداب وأحكام.

وبناءاً على هذا الدور الخطير المؤثر الفعال الذي يقوم به الأزهر فإننا نناشده بما يلي:

١. أن يكون له صوت عال، وكلمة حق، ومقولة عدل في القضاء على الانحراف والفساد، ومحاربة الدعاوى المغرضة التي تسيء إلى الإسلام.

٢. تضافر الجهود مع المؤسسات التعليمية الأخرى للعمل على خطة مدروسة لتنمية التربية الإسلامية وما تنشئه من غرس للقيم والمبادئ والمثل العليا، والأخلاق الكريمة، والآداب الحميدة المستمدة من النبع الفياض القرآن الكريم.

٣. الإشراف على مناهج التربية الإسلامية في المراحل التعليمية المختلفة مع مراعاة التطور العلمي والمادي والحضاري في المجتمع.

٤. الإكثار من الندوات الدينية التي تبين مفهوم الدين الإسلامي مفهوماً صحيحاً سليماً.

٥. زيادة أوجه التعاون بين مصر ودول العالم الإسلامي في المجالات الإسلامية وذلك عن طريق التوحيد في كلمة الدين، وعقد المؤتمرات الدينية، وتدعيم المراكز الإسلامية في هذه الدول.

٦. الإكثار من إنشاء المكتبات الإسلامية المتخصصة التي تضم:

١) المخطوطات الإسلامية وبيان ما حقق منها وما لم يُحقق بعد حتى يتسنى للباحثين المهتمين بها دراستها وتحقيق ما يختارونه منها.

٢) الكتب الدينية التي تحتوي على جميع فروع وأقسام الدين الإسلامي والتي تناسب جميع الأعمار. مع مراعاة التوزيع الجغرافي لهذه المكتبات وخبرة القائمين عليها وعمل نظام موحد للاستعارة من هذه المكتبات حيث أن الكثير من الباحثين المهتمين بالموضوعات الإسلامية لا يتسنى لهم الوقت للانتظام والتواجد صباحاً في هذه المكتبات نظراً لظروف عملهم.

٧. العمل على إنشاء موسوعة تضم جميع الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة حيث حدث الآن خلط بين الأحاديث القوية الصحيحة والأحاديث الضعيفة، مما ينشئ التباساً في دراسة الباحث للأحاديث النبوية ، ومما يساعد على تكوين فكر خاطئ في دراسته لجانب يعتبر من الجوانب الإسلامية الهامة والتي قد تؤثر في أبحاثه وموضوعاته التي يقوم بدراستها الآن، والتي سوف ينادي بها في المستقبل.

٨. حث الشباب وتشجيعهم على المعرفة والبحث وذلك بطرح المسابقات الدينية في صورة أبحاث تعالج الموضوعات الإسلامية الهامة، وتقرير جوائز تشجيعية لأفضل الأبحاث مع العمل على نشر هذه الأبحاث الفائزة.

٩. تبني الأفكار الصالحة والأخذ بيدها إلى طريق العلم والمعرفة وتشجيعها والإعلان عنها وبذلك يكون هناك حافز دائم للقراءة والبحث في الأمور الدينية مما يحمي شبابنا من الأفكار الضالة

والمفاهيم الخاطئة، والطريق مفتوح وواسع لكل اجتهاد في الإسلام يهدف إلى الخير، وينشد البناء والتقدم.

١٠. العمل على ربط الموضوعات التي تعالجها التربية الإسلامية بالسلوك الإنساني في الحياة، فالأخلاق بيئة صالحة للحياة العملية، فلابد من ربطها بالعلاقات الإنسانية التي تقوم على ربط علاقة الإنسان بربه، وصلته به سبحانه وتعالى.

نحن في حاجة إلى القلوب التي تصلح وتغير، والعقول التي تنمي وتقوي، والصدور الواسعة التي تتبنى كل فكر صالح، وتقوم كل فكر طالح . . نحن في أشد الحاجة إلى النفوس المؤمنة السليمة المستقيمة التي تعمل من أجل إعلاء كلمة الحق ورفعة الإسلام.

إن التربية الإسلامية هدف أساسي ومطلب ضروري في حياة كل فرد . . كيف نريد أن ننشئ جيلاً قوياً صالحاً قادراً على حمل الأمانة ما لم يكن هذا الجيل قد أخذ حظه الوافي من التربية الإسلامية وما تنشئه هذه التربية من القيم والمثل والمبادئ التي تسمو بالإنسان وتؤثر فيه تأثيراً كبيراً فيصبح إنساناً لا يقبل إلا الإيمان حياة . . والحب طريق . . والخير سلوك . . والعلم غاية . . والخلق سبيل إلى العمل الصالح مما يساعد على بناء المجتمع بناءاً سليماً قوياً صالحاً، ومما يحقق الأمن والاستقرار والسعادة والرفاهية لكل فرد في المجتمع.

نحن قلوب تتعطش إلى الصفاء والنقاء، ولا ترتوي إلا من العلم والإيمان.

اللــهم لا تجعـل فــي قلوبنــا مكانــاً للحقــد والحســد والكراهية، واجعل قلوبنا مليئة بالإيمان بـك .. بصيرة بطريق النور.. نابضة بالحب والخير .. متحلية بالخلق الكريم .. مزودة بالعلم القويم على الصراط المستقيم.. فننعم بالسلام الروحي الممدود، والاطمئنان القلبي المشهود، والأمن النفسي المنشود.

أثر الإسلام في استقرار الدولة

قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾
[آل عمران:١٩]

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية:١٨]

إن استقرار الدولة هو غاية كل إنسان، ومنشود كل فرد يريد أن يحقق الاستقرار لنفسه، والسلام لمن حوله . . فيتم التوازن في المجتمع، ويسود الأمن في البلاد.

ومما لا شك فيه أن للإسلام أثراً شاملاً وعظيماً في تحقيق أمن الدولة.. فهو الدين الذي اصطفاه الله عز وجل وارتضاه لعباده حتى يتحقق لهم الأمن والسلام والرخاء والعزة والكرامة وكل ما يتمنونه من حياة طيبة سعيدة هادئة مطمئنة:

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة:١٣٢]

ولن يتحقق للدولة أمنها إلا بشريعة الله، ولن يتم استقرارها إلا بحكم الله، ولن يسود تقدمها وازدهارها إلا بمنهج الله :

قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠]

وشريعة الله هي شريعة الإسلام . . . . فالإسلام منهج رباني خالص ، والتشريعات الإسلامية هي تشريعات ربانية صادرة من المشرع الواحد الأحد – الله تبارك وتعالى لضبط الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والدولية.

والشريعة هي نظم وأحكام شرعها الله ، أو شرّع أصلها وكلف المسلمين إياها ليأخذوا أنفسهم بها في علاقتهم بالله، وعلاقتهم بالناس، وهي ترجع إلى ناحيتين رئيسيتين:

أولاً : ناحية العمل الذي يتقرب به المسلمون إلى ربهم.

ثانياً: ناحية العمل الذي يتخذه المسلمون سبيلاً لحفظ مصالحهم ودفع مضارهم فيما بينهم وبين أنفسهم، وفيما بينهم وبين الناس، على الوجه الذي يمنع المظالم، وبه يسود الأمن والاطمئنان.

والشريعة الإسلامية هي الشريعة الكاملة المتكاملة . . الشريعة الشاملة التي استوعبت الحياة كلها، فلا يوجد جانب من جوانب الحياة إلا دخل فيها التشريع الإسلامي آمراً أو ناهياً أو مخيراً.

فالتشريع في الإسلام تشريع شامل يشمل:

١. الفرد في تعبده وصلته بربه ، وفى سلوكه العام والخاص.

٢. أحوال الأسرة من زواج وطلاق ونفقات ورضاع وميراث، وولاية على النفس والمال ونحوها.

٣. الجرائم وعقوباتها المقدرة شرعاً كالحدود والقصاص.

٤. واجب الحكام نحو المحكومين، وواجب المحكومين نحو الحكام وتنظيم الصلة بين الطرفين

٥. المجتمع في علاقاته المدنية والتجارية، وما يتصل بتبادل الأموال والمنافع من البيوع والإيجارات والقروض والمداينات والرهن والحوالة والكفالة والضمان وغيرها.

٦. العلاقات الدولية في السلم والحرب بين المسلمين وغيرهم.

هذه هي الشرائع المتمثلة في النظم والأحكام ليتخذها المسلمون منهجاً لهم في حياتهم، ونبراساً لهم يضيء الطريق فيتقربون إلى الله. . آملين في الفوز برضاه . . طامعين في أن يشملهم برحمته وعفوه، وأن يدخلهم مع عباده الصالحين.

مما سبق يتضح لنا أن التشريع يأخذ جانبين هما:

أولاً : جانب إيماني: حيث أن هناك أموراً تعتبر قضايا إيمانية تترك للفرد حسب صلته بربه، وعلاقته به سبحانه وتعالى.

ثانياً: جانب تكليفي: حيث يتعلق بالأحكام والشرائع التي يجب أن تنفذ بقوة القانون، وهنا يأتي دور الدولة

ومعاونتها لتنفيذ هذه الأحكام كما شرعها الله عز وجل . . وبذلك يسود الاستقرار والأمن في المجتمع.

واللبنة الأساسية التي يقوم عليها التشريع الإسلامي هو إقامة العدل المطلق بين الناس جميعاً ، وتحقيق الرخاء والمساواة بينهم، وصيانة أنفسهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم وحقوقهم.

وأهم ما يهدف إليه التشريع في الإسلام ويحققه هو التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة دون جور على أحد منهما، ولن يتم هذا التوازن إلا بإقامة العدل المطلق والمساواة الكاملة فيسود الإخاء والمودة بين الناس جميعاً.

فحين يسود الإسلام المجتمع حقاً، ويتعلم فيه كل جاهل، ويعمل فيه كل عاطل، ويطعم فيه كل جائع، ويأمن فيه كل خائف وينصف كل مظلوم، يتحقق التوازن المنشود في المجتمع.

إن لعبادة الله والعقيدة الإسلامية أثرها العظيم في تكوين الأخلاق القويمة التي تغرس القيم والمبادئ والمثل العليا في نفس الإنسان مما ينشئ جيلاً قوياً صالحاً قادراً على حمل الأمانة ومما يساعد على حماية التشريع الذي يحقق استقرار الدولة ورقيها، وللدولة دورها الكبير في المحافظة على العقيدة الإسلامية بكل تعاليمها وأحكامها وآدابها مما يؤدي إلى اطمئنان الفرد على حياته وشعوره بالأمان والسلام فيحيا المجتمع في توازن وتناسق عادل متكامل.

إن التشريع الذي نسعى لتحقيقه وننشد تطبيقه هو التشريع الذي أنزله الله عز وجل في كتابه الكريم . . تشريع دين الله هو الإسلام في شموله وتوازنه . . إسلام القرآن والسنة . . . إسلام لا يهدف إلى شعارات زائفة تتخذ من العبادات الإسلامية ستاراً تخفي وراءه مصالحها الشخصية ومكاسبها الذاتية، والعبث بأمن الدولة واستقرار أفرادها.

إننا نريد تحقيق شريعة الله في الأرض التي تحقق خير وأمن الإنسان والمجتمع على السواء.

فالدين الإسلامي هو دين السماحة والخير والحب والسلام . . إنه النعمة الشاملة، والعقيدة السامية، والشريعة الكاملة التي تحث على الخلق الكريم، والعلم القويم، والبناء السليم.

ودولة الإسلام هي دولة العلم والإيمان، دولة العدل والإحسان، ودولة الرقي والتقدم، دولة القوة والبنيان التي تعمل على تحقيق الخير والرخاء، والأمن والأمان، والصلاح والإصلاح، والحب والسلام.

إن الشريعة الإسلامية واضحة في القرآن والسنة، ولا نحتاج إلا أن نتأمل في آيات الله البينات، ونقتدي بسلوك رسول الله ﷺ والسلف الصالح.

إن للدولة والفرد هدفاً واحداً وطريقاً واحداً هو تحقيق الاستقرار والأمان، ولن يتحقق أمن الدولة إلا باستقرار الدولة، ولن يتم استقرار الدولة إلا بتنفيذ شريعة الله في الأرض والحفاظ على منهجه سبحانه

وتعالى في الحياة ، والعناية بتطبيق تعاليم الإسلام كما أمر بها تبارك وتعالى أنبيائه ورسله ليبلغوها للعالمين للاقتداء بها واتباعها.

وأمن الدولة لا يتعلق فقط بأفرادها المسلمين وإنما شمل كل الناس.. المسلم وغير المسلم ، كما شمل أيضاً علاقة هذه الدولة الإسلامية بغيرها من الدول الأخرى الغير إسلامية . . علاقة تقوم على الحب والخير والسلام والأمن والإخاء والتعاون المتبادل في جميع النواحي على أساس متكامل متناسق، متوازن ، وبذلك تساهم الدولة في تحقيق الرخاء لبلادها وأفرادها، وتحقق الأمن الذي يمثل كيانها وتقدمها وازدهارها.

إن حرص الدولة على إقامة العدل المطلق بين الناس جميعاً، وتحقيق المساواة بينهم وصيانة أموالهم وأعراضهم وحقوقهم، والقصاص من القاتل، ومحاربة المعتدي، ومعاقبة السارق، والقضاء على المفسدين الذين يعيثون في الأرض فساداً . . هذا هو ما دعا إليه الإسلام وتحقيقه وتنفيذه في الأرض إنما هو تحقيق لمبادئ وتعاليم وتشريعات الإسلام.

إذن الإسلام يحقق للإنسان سلامه مع نفسه والآخرين، كما يحقق للدولة أمنها في علاقتها بأفرادها، وعلاقتها مع غيرها من الدول الأخرى، حيث يكون العدل بناء، والحق شريعة، والخير حياة، والأمن هدفاً نسعى إليه، والسلام أملاً ننشد تحقيقه، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن للإسلام أثراً عظيماً وشاملاً في تحقيق استقرار الدولة التي تسعى بدورها لتحقيق أمن الإنسان واطمئنانه على أهله وماله وبيته

وعرضه، وكافة حقوقه . . وبذلك يسود المجتمع التوازن الشامل، والتناسق العادل، والأمن الكامل، والسلام المتكامل.

وليس هناك مجالٌ للشك في أن الدولة التي تطبق منهج الله ، وتعمل على تنفيذ شريعته في الأرض ، ويؤمن أفرادها بعدل الله وكمال علمه وحكمته وبره بخلقه . . . فإن الله عز وجل يفيض عليها برحمته وعطائه فيفتح عليها بركات من السماء والأرض.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

[الأعراف:٩٦]

الإخلاص وأهل هذا الزمان

الإخلاص سر من أسرار الله جل جلاله استودعه سبحانه قلب من أحبه من عباده.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة:٥]

والإخلاص هو إفراد الحق سبحانه وتعالى في الطاعة، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه وتعالى دون أي شيء آخر.

فالإخلاص سكون التقوى في قلب العبد، فإذا سكنت التقوى في قلبه، نزلت عليه بركات العلم وطردت شهوات الدنيا عنه.

والإخلاص زهد في متاع الدنيا وإقبال على كل خلق شريف، وعدول عن كل خلق دنيء . . . فهو توكل وإسقاط للتدبير مع الله سبحانه وتعالى، بل استقامة وسير في طريق الله.

والإخلاص مرتبط بالنية، فإذا تظاهر الإنسان بالعمل الصالح وهو يحمل قلباً أظلمه الحقد والغضب والكراهية، فإن قلبه منزوع منه اليقين لأن العبرة في الإخلاص بالرضا والقناعة والصدق والنية.

فلا إخلاص بلا نية، ولا نية بلا إخلاص، فبمقدار الإخلاص في النية يكون الثواب، ويكون الحق ، ويكون الجزاء.

اذن يرتبط الإخلاص بالصدق والعزم والإرادة والمشيئة والقصد والنية، وكلها بمعنى الإخلاص في الظاهر والباطن.

فالإخلاص بهذا المعنى هو نور استودعه الله تعالى عبده المؤمن، فقطعه به عن غيره، ذلك هو الإخلاص القائم بين العبد وربه، فلا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيسلبه.

ولقد سئل بعض أهل المعرفة:

- أي الأعمال أشد على النفس؟

- قال: الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب.

وكما أن الإيمان درجات، والتقوى درجات، فكذلك الإخلاص درجات، يمكن أن تتحدد في درجتين:

الأولى: إخلاص لطلب الأجر والثواب، ويزكي المؤمن نفسه ويتعبد ويؤدي ما أمره الله به.

وهذا هو إخلاص الصادقين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، لهم منزلة طيبة عند الله، وبقدر هذا الإخلاص في النية يكون الثواب ويكون الجزاء.

الثانية: إخلاص الصديقين الذين يسلكون – على طريق الإخلاص – الشريعة إلى منازل القربى، فهم عباد جبلهم الله تعالى على حسن العبودية، ومنحهم أسرار حضرته.

فالإخلاص إذن ظاهر وباطن، فإذا كان الظاهر كالباطن، اكتمل معنى الإخلاص وانتقى معنى الرياء وانكشفت للإنسان حقائق هي من علم الله وبفضل الله.

إن الإخلاص هو دليل العمل والعبادة لأنه بالإخلاص يستحضر المؤمن الله تعالى في ركوعه وسجوده، وفى التسبيح والتقديس والتوحيد والحمد والشكر . . . فإذا قال العبد:

" أشهد أن لا إله إلا الله " فهو إخلاص له تعالى لأنه لا يرى شيئاً في السماوات ولا في الأرض إلا ذاته النورانية، فيكون الله تعالى دائماً معه يعينه وينصره على قدر إخلاصه في عبادته.

لابد للعبد المحقق في إيمانه، والطالب لسلوك سبيل النجاة من معرفة ثلاثة أصول يعمل بها:

الإخلاص ثم الصدق ثم الصبر.

وهذه ثلاثة أقسام لمعاني مختلفة، وهي داخلة في جميع الأعمال، ولا تتم الأعمال إلا بها، فإذا فارقت الأعمال فسدت ولم تتم. ولا يتم بعض هذه الأصول الثلاثة إلا ببعض، فمتى فقد إحداها تعطلت الأخرى.

فالإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه، والصبر عليه، والصبر لا يتم إلا بالصدق فيه، والإخلاص فيه، والصدق لا يتم إلا بالصبر عليه، والإخلاص فيه.

ومن المؤلم أننا نجد أهل هذا الزمــان يفتقـدون إلـى الإخـلاص . . . فلنتأمل فيما يجري حولنا لا نرى إلا القتل والإرهاب، والنهب، والسرقة، والاغتصاب، وصور الأنانية المدمرة، حتـى أصبحـت هـذه الأنانيـة هـي القانون، والجريمة هي الوسيلة.

أين الإخلاص في هذا ؟ وهل هذا يرضي الله؟ وهـل هـذا مـا دعانـا الله إليه؟

أين حبنا لله؟ أين طاعتنا له سـبحانه . . ؟ إذا كـان الإخـلاص ضـاع من حياتنا وحل محله الذاتية.

ليس العيب في هذا الزمان، ولكن العيـب فـي أهلـه، الذيـن تجـردوا من الرحمة، وفقدوا الإخلاص وحـب الله، فضـاعت البركـة مـن حياتـهم، ولم يبق لهم إلا القلق والضياع، يتوهون في الأرض يبحثون عن الحقيقـة وعن الخير ويتساءلون : أين هو . . . ؟

إنه موجود وباق ودائم في الإخلاص . . .

الإخلاص في حب الله .. في السلوك . . في العمل . . في العبادة . . في كل شيء حباً لله وحده ومرضاة له سبحانه.

يا أهل هذا الزمان كفانـا حقداً ... كفانـا كراهيـة ... كفانـا أنانيـة ... فلقد آن الأوان لكي نقف فـي لحظـة صـدق مـع النفـس . . . وصفـاء مـع القلب لنواجه أنفسنا، ونعرف أننا ضللنـا الطريـق لأننـا فقدنـا الإخـلاص، ونؤمن بأن طريق الله ليس لمن سبق، وإنما لمن صــدق وأخلـص. ولكـن مـازال البـاب مفتوحـاً . . فلنتجـرد مـن الأنانيـة المدمـرة التــي تضيعنــا،

ولنتحلى بالإخلاص الذي يقربنا من الله طامعين في أن يرحمنا ويفتح علينا ويرفع عنّا غضبه، ويقبلنا مع عباده المخلصين الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.

عيد الحب العظيم

عندما يهل علينا عيد الأضحى المبارك تتجلى أمامنا آيـة مـن آيـات الحـب الإلـهي . . . ففـي نفس الوقـت الـذي يحتفـل بـه المسـلمون بذبـح الأضاحي، يحتفلون بقصة حب الإنسـان لله عز وجل . . . بقصـة النبـي الذي أمره الله أن يذبح ولده فأطاع، وكانت طاعته إشـارة إلـى أن المسلم هو الذي يحب الله أكثر مما يحب لنفسه أو أبناءه.

ولأن الذكرى تنفع المؤمنين، فنحن في عيد الأضحى المبارك نذكر ونتذكر قصة إبراهيم عليه السلام، وهو النبي الذي ابتلاه الله ببلاء مبين.. بلاء فوق قدرة البشر حيث ابتلاه الله بذبح ابنه الذي جاءه علـى كـبر . . . وكان إبراهيم هو العبد الذي وفى.

قال تعالى في سورة النجم : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم:٣٧]

لقد كان ابتلاء الله لإبراهيـم بـلاءاً مبينـاً، وكـان إسماعيل ابنـه مـن الصابرين على هذا البلاء.

وهنا أثبت إبراهيم بطاعته لأمر الله بأن حبه لله أعظم وأهـم مـن أي شيء آخر . . فجاءت رحمة الله ولمسات حنانه له بأن فـدى الله إسماعيل بذبح عظيم، وبذلك تكون طاعـة سيدنا إبراهيـم عليـه السـلام لربـه عيـداً يحتفل به المسلمون كل عام ... عيداً يذكرهم بمعنى الإسلام الحقيقي الذي

كان عليه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ويذكرهم بقصة حب الإنسان لله وطاعته لأمره حباً له هو وحده.

وبذلك يصبح عيد الأضحى المبارك هو عيد الحب العظيم.

وإذا تأملنا في قصة إبراهيم عليه السلام، نجد أنها قصة تبلور صفة الحب لله الذي تغلغل في كيان سيدنا إبراهيم عليه السلام حتى أصبح يحيا به وله، وما أثمر هذا الحب من صفة الطاعة لأمر الله حباً له وحده، والصبر على بلاء الله تقرباً إلى الله.

وتتبلور أمامنا في هذا البلاء العظيم، وكما تكشف لنا الأحداث من قصة إبراهيم عليه السلام صفة الصبر الذي اتصف به سيدنا إبراهيم، صبره على ابتلاء الله له حباً له وحده، وصبر إسماعيل عليه السلام، حيث تقبل أمر الله برضا وحب . . فأنعم الله عليهما بلمسات حنانه وآيات حبه ونسمات رضاه بأن أنقذهما جزاء على صبرهما وطاعتهما لأمر الله.

وإن دل هذا كله على شيء، فإنما يدل على أن الإنسان الذي يسلك طريق الحب الإلهي وتحيا نبضاته بحب الله، تهون أمور الدنيا أمامه ولا يسعد بشيء إلا بحب الله فقط، فيعمل ويسلك طريقه حباً لله، ويصبر على ابتلاء الله له حباً له، حامداً شاكراً راضياً سعيداً بما آتاه الله، طامعاً في رحمة الله ورضاه ، ساعياً إلى القرب منه وحده.

وما أحوجنا في هذه الأيام ونحن نشاهد صور الإرهاب في كل مكان إلى أن نقف وقفة مع أنفسنا ونحن على جبل عرفات متضرعين

إلى الله سائلين إياه الرحمة والمغفرة، نتذكر قصة إبراهيم عليه السلام . . قصة الحب العظيم ونستفيد منـها دروساً فيـها العبرة والموعظـة، مليئـة بلمسات حية ناطقة وشاهدة بالحب الإلـهي، فنتخلص مـن شوائب الحقد والكراهية والأنانية والطمع الذي أصبح سـائداً فـي هذه الأيـام ، ونطـهر أنفسنا بالحب والخير والإنسانية ممتثلين إلى أمـر الله تعـالى بـأن نتعـاون على البر والتقوى حباً لله، وحباً فـي الله، وتقربـاً إلـى الله . . . وأن نجعل حب الله هو القانون الذي يحكم حياتنا ، وهو الرسالة المثلى التـي تقودنـا إلى القرب من الله.

نغمات
حياة السلام

الحب نبض الوجود، وسر السعادة القلبيـة . . وأعظـم أنـواع الحـب هو الحب الإلهي . .

وحب الله يقود الإنسان إلى أجمل ما في الحياة . . . وإلى أسـمى مـا في الوجود ، وهو السـلام . . السـلام مـع نفسـه . . السـلام مـع روحـه . . السلام مع قلبه وفؤاده وكيانه . . السلام مع جسده . . السلام مع الكائنـات والوجود.

ما أجمل هذا السلام . . !

إنها معاهدة السلام العظيـم . . عقـد معـاهدة لبنـاء سـلام مـع النفس والروح والقلـب والفـؤاد والجسـد والكيـان الإنسـاني بكاملـه . . فيمـن الله بثمار طيبة ثواباً لهذه المعاهدة الصادقة ، حيث الإحساس بالسلام والحب مع الكائنات والمخلوقات والشعور بالسلام والألفة مع كل ما خلقه الله عز وجل.

والسلام غاية كـبرى وقيمـة عظيمـة لا يقدرهـا إلا مـن يشـعر بـها، ويتفاعل معها ، حيث يسعى إليها محاولاً تحقيقها في نفسـه وحياتـه، ممـا يجعله يسعى إلى الخير فينتشر السلام في الأرض مع الآخرين.

والهدوء، والسكينة، والأمن النفسي هي مراحل في طريق السلام، ينعم بها الله على الإنسان الذي يسلك طريقه ناشداً رحمته . . طامعاً في حبه وحنانه ورضاه.

ولنقف معاً في تأملات روحانية ، حيث أن السلام اسم من أسماء الله الحسنى . . فلقد سمى الله تعالى نفسه " السلام " . . فمنه سبحانه السلام، وكل سلام في الكون يستمد منه، ويعتمد عليه ، ويرجع إليه.

وهو سبحانه واهب السلام . . . .

فمنه وحده السلام ، وإليه وحده السلام ، وبه وحده السلام.

إذن فالسلام غاية من الغايات الكبرى، تقود الإنسان إلى الغاية الأسمى وهي القرب من الله.

فلتكن حياتنا هي السلام والحب

ولتكن وصيتنا إلى أبنائنا وبناتنا هي السلام والحب

ولتكن دعوتنا إلى إخواننا وأخواتنا هي السلام والحب

ولنطبع أنفسنا وقلوبنا على السلام والحب حتى إذا جاء أجلنا فلنحرص على أن نفارق الدنيا بسلام وحب، ونسلم الراية إلى غيرنا لاستكمال المشوار والسلام يملؤنا، والحب يغمرنا ، طامعين في رحمة الله ناشدين القرب منه وحده لا يشغلنا شيء سواه.

فبالسلام والحب تقتلع الأحقاد من النفوس

وبالسلام والحب تشفى القلوب

وبالسلام والحب تدمّر جذور الشر والآثام

وبالسلام والحب تنبت بذور الأمن والاطمئنان

فتحصد ثمار الخير والصلاح والرخاء.

وبالسلام والحب يشعر الكيان الإنساني كله بألفة ومودة مع الكائنات والوجود.

يحس بأن هناك حياة مشتركة بينه وبين الكون كله . . هناك تجاوب مع جميع الكائنات والمخلوقات .. يفهمون لغة بعضهم البعض ..

يتغنون سوياً بالحب والسلام

شاكرين حامدين فضل الله ، ونعمة الله

إنها نغمات راقية . . نغمات عظيمة

نغمات حية نابضة بالحب . .

أنها نغمات حياة السلام . .

وما أحوجنا في هذه الأيام إلى أن نحيا في ظلال نغمات حياة السلام بعد أن أصبح القلق يدمر حياتنا ، والشعور بالضياع وعدم الأمان يضلّل طريقنا، ولن ينجينا إلا حب الله فنشعر بالسلام والاستقرار ، فنتذوق حلاوة نغمات حياة السلام ، حيث نحيا بها ولها، ونعمل مخلصين لله وحده، ندعو غيرنا إلى الاشتراك معنا في دعوة الحب والسلام . . فنقيم معا برج القيم، ونشيِّد عمارة الفضيلة، ونزرع سنابل الخير ونضيء شموع الحب للآخرين، ونتعاون لنكون صحوة نابضة للضمائر

الغافلـة، وبلسـماً شـافياً للمجروحيـن، ورحمـة هاديـة للنفـوس المريضــة، ومصباحاً منيراً لفاقدي الطريق . . . .

وبذلك نسعد جميعاً وننعم بنغمات حياة السلام.

إلى الذين يفصلون بين الأخلاق والسلوك الإنساني

عندما دعانا الله جل جلاله أن نقتدي برسوله الكريم محمد ﷺ . . إنما يدعونا أن نتحلى بالخلق القرآني لأنه كان خلقه القرآن، وهو الرسول الكريم الذي أثنى عليه الله سبحانه وتعالى ووصفه بأنه على خلق عظيم. ولقد كان الرسول ﷺ وسيظل المثل الأعلى والقدوة الطيبة والأسوة الحسنة وصورة حية متكاملة عن الإنسان المؤمن الذي يرضى عنه الله عز وجل.

والخلق القرآني نور من الله عز وجل إلى العبد الصادق المؤمن .. منه يستمد الحياة والطريق إلى الله .. فإذا صفت النفس .. وطهر القلب .. ووضحت السريرة .. وانقشعت من على النفس غمامات الحقد والحسد .. عرف هذا العبد الصادق طريقه.. فيكون منارا له في حياته، وذكرى حسنة بعد مماته، وإرثا باقيا في ذمة الله إلى يوم الدين.

والأخلاق لا وزن لها بدون الإخلاص في النية والعمل، والإنسان الغني بحق هو الإنسان الذي يتمتع بغنى النفس، وغذاء الروح، وشفاء القلب متمثلا في اتباعه التوجيه الإلهي متحليا بالخلق القرآني.

ومن تحلى بالخلق القرآني وعرفه حق المعرفة، وقى نفسه من آثام وشرور الدنيا، ولم يتبق له إلا النور والأمل والسعادة الحقيقية في الحياة وما بعد الحياة.

ولكن قبل أن يتحلى الإنسان بالخلق القرآني يجب أن يكون حبه لله كاملاً وعظيماً وأن يملأه الإيمان العظيم بالله سبحانه وتعالى الذي سيدفعه إلى الرغبة القوية في التحلي بالخلق القرآني الذي يجعله يراقب نفسه في كل أفعاله وتصرفاته فيكون له نوراً في الحياة يملأ قلبه ووجدانه وعقله ونفسه وروحه وحياته وطريقه كله.

والإيمان ضرورة حية للحياة الإنسانية . . ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد ويرقى، وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك ويبقى، فهو مصدر الأمان، ومنبع السعادة، وطريق الأمل وسبيل التقدم والرخاء.

والإيمان الحق هو الذي يخط آثاره في الحياة كلها، ويصبغها بصبغته الربانية في الأفكار والقيم والمفاهيم والعواطف والمشاعر والأخلاق والعادات، والنظم والقوانين.

ومن المؤسف أن تظهر فئة من الناس تشوه صورة المجتمع الإسلامي. أناس يفصلون بين الأخلاق والسلوك الإنساني . . فيعطون لأنفسهم الحق في أن يطعنوا الآخرين من الخلف، وأن يفسدوا بين الناس، ويعملون كل ما في وسعهم ليضروا الآخرين، ولا يهتمون إلا بمصلحتهم الشخصية، حتى ولو كانت على أكتاف الآخرين.

والشيء المؤلم أنهم يدّعون بأنهم من أهل الدين والخير والصلاح ومن أصحاب المبادئ والقيم والأخلاق الكريمة، وعندما نواجههم بسلوكياتهم وأنها بعيدة عن الأخلاق الحميدة يقولون: الأخلاق شيء، والسلوك شيء آخر.

ولنقف هنا وقفة مع هذه الفئة لنقول لهم:

[لا تنفصل الأخلاق عن السلوك الإنساني، والإنسان كل متكامل . . فالأخلاق لا تتجزأ والمبادئ لا تنفصل، والإنسان المسلم الحق الذي يرضى عنه الله سبحانه وتعالى هو الإنسان الذي يكون ظاهره كباطنه، وأفعاله وأقواله ترجمة حية حقيقية لما في داخله فتصبح أخلاقه فاضلة وسلوكياته حميدة، فيكون بذلك نموذجاً طيباً وقدوة صالحة في المجتمع]

إن هذه الفئة من الناس صورة مشوهة للمجتمع الإسلامي ويجب أن نتطهر منها حتى نحيا في مجتمع يؤمن بالحق والخير والعدل والقيم والمبادئ، وتسوده الرحمة والحب والإنسانية والأخلاق الحميدة والسلوكيات الكريمة التي تبني ولا تهدم، وتعمِّر ولا تخرِّب . . فنحصد ثمار الخير من التقدم والرخاء والرفاهية.

رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه، ورحم الله امرءاً عاش على المبادئ والأخلاق الحميدة، فأصبحت سلوكياته مثلاً وقدوة ونموذجاً طيباً صالحاً يرضى عنه الله عز وجل . . وتفتخر به الملائكة . . ويحتذي به الآخرون، وينعم الله عز وجل عليه بأن يدخله في رحمته، وأن يكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

إن أجمل ما في الحياة الإيمان بـالله.. وأعظم مـا فـي الوجـود حـب الله.. وأروع ما في الدنيا السير فـي طريـق الله . . وأحلـى مـا فـي النفس الإنسانية التحلي بما جاء به القرآن من خلق كريم، وأدب حميـد، وسلوك عظيم، فتنعم بالأمن ، وتهنأ بالسكينة، وتسعد بالفيض الإلـهي العظيـم فـي نور القرآن الكريم.

الارتقاء والانتكاس
في طريق الله

لكل منا وقفات مع النفس يراجع فيها نفسه في طريقها وسلوكياتها... فالمراجعة النفسية دائماً تكون مريحة ومثمرة ودافعة لطريق جديد كله جهاد وكفاح وحب وخير حيث المثابرة والصبر والإرادة على سلك الطريق حباً لله وطمعاً في رضا الله، وأملاً في القرب من الله.

وطريق الله . . طريق صعب وشاق وكله جهاد مع النفس، ومن يسلك طريق الله ، يعرف أن سبيل الهبوط والانتكاس أسهل بكثير من سبيل الصعود والارتقاء للفوز بالقرب من الله ورضاء الله وحب الله ... ولكن كيف ذلك . . ؟

أولاً : سبيل الهبوط والانتكاس

من السهل على من يسلك طريق الله أن ينتكس وينحدر إلى الهبوط وذلك إذا نسى الله فأنساه نفسه، وانغمس في ملذاته وشهواته وأهوائه ورغباته وابتعد عن ذكر الله ولم يعد يحمد الله أو يشكره على أي نعمة يتلقاها وينسب فضل التوفيق أو النجاح في أي أمر من الأمور إلى نفسه وشخصه فيصاب بالغرور والتكبر وتجد الآفات النفسية مكاناً في نفسه للاستقرار، ويجد الشيطان فرصة مناسبة للدخول وساحة واسعة عريضة للتمكن فيمارس وظيفته في الوسوسة والغواية مما يقضي على

هذا الإنسان ويؤدي به الحال في النهاية إلى الانحدار والانتكاس والهبوط إلى الهاوية.

ويحس الإنسان أنه بدلاً من أن يسلك طريق الله ويرتقي فيه . . . يسلك طريق الهوى والشيطان .. وبدلاً من أن يهتدي . . يجد نفسه يضل، وبدلاً من أن يطبّع نفسه على التهذيب والترقي والإصلاح يجد نفسه ينحدر وينزل إلى مستوى النفس الأمَّارة بالسوء البعيدة عن الله، وبدلاً من أن يتخذ الله ولياً أصبح يتخذ الشيطان وليه، وبالتالي نتيجة لكل ذلك يبتعد الخير عن طريقه ، وتهرب البركة من حياته ويقفل أمامه باب الأمن والاستقرار النفسي والسلام الروحي.

فمن السهل أن ينحدر الإنسان ويهبط حيث يأخذ هذا الهبوط لحظة ابتعد فيها الإنسان عن الله . . . أما الصعود فهو طريق صعب ويأخذ أياماً وسنوات للترقي والقرب من الله.

ثانياً : طريق الصعود والارتقاء

إن طريق الصعود والارتقاء طريق صعب وطويل وشاق ويحتاج إلى صبر جميل، وإيمان عظيم ، وحب كبير يجري في دم الإنسان وعروقه ينطق به ويحيا فيه كل ذرة في وجدانه وكيانه.

إنه طريق يحتاج في كل لحظة إلى تذكُّر الله ونعمة الله وفضل الله ورحمة الله . . . إنه طريق يتطلب من الإنسان عمل كبير ومجهود عظيم في كل لحظة للترقي ولصفاء نفسه وتطهير قلبه من الشوائب هادفاً الأمل

في الله وحده، والرجاء في الله وحده . . . عمل لا يهدف ولا يطمع إلا في حب الله ، ورضا الله، والقرب من الله.

إنه طريق يتطلب من الإنسان المراقبة والمراجعة النفسية المستمرة حتى يعرف عيوبه ويحاول أن يقوّم من نفسه ويهذب من أخلاقه ويصلح من أفعاله ناشداً في كل لحظة عون الله ورحمته وعنايته ومغفرته.

إنه طريق يحتاج إلى صبر وصدق وإخلاص في القول والعمل، والسريرة والعلانية.. في الظاهر والباطن.

إنه طريق يتطلب من الإنسان في كل قول وسلوك وعمل أن يضع دائماً الهدف هو الله، وما يرضي الله ، وبذلك يكون الله دائماً في وجدانه وكيانه يخشاه ولا يخشى أحداً سواه ، يعمل حباً لله ، ويحس بأن الله خلق هذه الدنيا لكي ننعم فيها بحب الله، ونشعر بجمال حب الله.

ولذلك فإن الذكر من أهم السبل التي تعين الإنسان في طريق الله، حيث أنه بذكر الله الدائم وحمده وشكره وتسبيحه وتقديسه سبحانه وتعالى يقيه من آفات النفس البشرية ومن آثام وشرور وشوائب هذه النفس الأمَّارة بالسوء ويحميه من الانزلاق في حبائل شياطين الإنس والجن حيث أن الإنسان بذكره لله يكون دائماً في دائرة النور الإلهي مما يساعده على صفاء نفسه وطهر قلبه ما يجعله يراقب كل سلوك ، وكل قول ، وكل فعل في كل لحظة آملاً في عون الله ، ورضا الله مما يعينه على الترقي في الطريق طامعاً ناشداً القرب من الله.

ولذلك فهو طريق صعب لأنه يحتاج إلى عمل دائم وصبر جميل وذكر كثير ومراجعة نفسية مستمرة على طول الطريق مما يساعد على تغيير الإنسان في سلوكه وأخلاقه وأفعاله مما يثمر ثمرة نورانية في طريق الله حيث يشعر بالاطمئنان والاستقرار النفسي والأمن مع الله والهناء في حب الله والأنس بالله والسعادة مع طريق الله.

إنه طريق يجعل الإنسان دائماً مشغولاً بالله . . . منشغلاً بطريق الله . . فكره ووجدانه وكيانه كله لا يفكر إلا في الله وكيفية السير في طريقه آملاً في رضاه والقرب منه سبحانه وتعالى . . .

ومن هذا المنطلق كان الطريق صعباً وشاقاً وما يحصل عليه الإنسان في الطريق من ثمرات وفتوحات وتجليات وإحساس بالأمن النفسي . . إنما حصل عليها بفضل الله وحده وأمره سبحانه وتعالى وحده ثمرة وثواباً لجهاد هذا الإنسان في الطريق.

ولذلك إذا جاءت لحظة ونسى الإنسان كل هذا الخير والنعيم الذي أنعم الله عليه وانقاد إلى طريق الهوى والشيطان ينحدر ويهبط بسهولة ويفقد ما حصل عليه في سنوات وسنوات.

ومن هنا كان طريق الصعود والارتقاء في طريق الله أصعب بكثير من طريق الهبوط، والذكر هو أهم السبل التي تعين الإنسان في الطريق وتساعده في المحافظة على صعوده وسارتقاءه وصفاء نفسه.

الظلم والاحتساب عند الله

في هذا الزمان نرى صوراً كثيرة ومختلفة من الظلـم، ولقـد صـور القرآن الكريم الظلم أعظم تصوير حيث توعد الظالمين بالعذاب الأليم.

وكما توعد الظالمين، فلقد وعد الله المظلومين بالنصر كمـا طمأنـهم حيث نهى الله عن الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلـم، وهنـا أعطـى الله الحق للمظلومين بالجهر بالسوء لأنه يعلم سبحانه مدى الثورة التي تتولـد وتتفجر بداخل الإنسان المظلوم.

والظـالم إنسـان استفحلت فيـه آفـة الكبر، وتولـدت عنــده الأنانيــة والغرور والتجبر بدرجة كبيرة، فهو إنسان لا يرى إلا نفســه، ولا يسـعى إلا لتحقيق مصلحته الشخصية، حتى ولو كـان الثمـن فـي ذلـك أن يجـور على حساب الآخرين وحقوقهم وأن يؤذي آدميتهم وكرامتهم وكبريائهم.

فهو إنسان نسى الله فأنساه نفسه.

والظلم ثلاثة أنواع:

١. ظلـم بيـن الإنسـان وبيـن الله تعـالى، وأعظمـه الكفـر والشــرك والنفاق.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾

[لقمان:١٣]

٢. ظلم بينه وبين الناس.

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [الشورى:٤٢]

٣.ظلم بينه وبين نفسه

قال تعالى : ﴿ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ ﴾ [فاطر:٣٢]

وكل هذه الأنواع الثلاثة هي ظلم للنفس.

ومواجهة الظلم أمر صعب لأنه يولد عند الإنسان المظلوم ثورة نفسية عارمة ورغبة في الانتقام.

ولذا نهى الله عن الجهر بالسوء من القول إلا على من ظلم لتهدئة نفس المظلوم.

ويتحكم الإيمان في ذلك تحكماً كبيراً ويتفاوت بين شخص وآخر حسب درجة إيمانه وعلاقته بالله سبحانه وتعالى. فهناك فئة تتمنى وتدعو الله أن تأتيها الفرصة لكي تنتقم وتثأر وتأخذ من الظالمين حقها.

وهناك فئة أخرى تحتسب عند الله، وهذه درجة عالية جداً من درجات الإيمان، حيث يحيا هذا الإنسان في حالة حب مع الله . . فهو لا يستطيع أن يظلم أو ينتقم حتى ولو أتيحت له الفرصة لذلك، ولكننا نجد سلوكه أنه يحتسب عند الله هذا الشخص الظالم وما فعله به، وأجره على الله وحده.

والاحتساب عند الله ليس أمراً هيناً، لأنه يتطلب من الإنسان سلوكيات معينة وجهاد مع نفسه، مثل كظم الغيظ، والعفو والصبر.

ولكنها سلوكيات في طريق الله وتجعل الإنسان في حالة صراع دائم مع النفس يتطلب منه الصبر، والصبر على أذى الناس درجة من درجات الإحسان.

إن تفويض الأمر لله والاحتساب عند الله يمنح الإنسان قوة كبرى.. قوة يستمدها من حبه لله وثقته في الله.. قوة تعطيه القدرة على الصبر وتمنحه الهدوء والسكينة والأمان.

ولا تحسبن الذين يحتسبون عند الله أن حقوقهم قد ضاعت .. كلا.. فهي محفوظة عند الله إلى وقت يشاء الله أن ينصر فيه عبده المظلوم، وهذا وعد الله، ووعد الله حق.

يا أيتها النفس الطيبة لا تحزني ممن ظلمك، ولا تتألمي ممن آذاك، ولتقولي لهم

" حسبي الله ونعم الوكيل

وإنما أفوض أمري إلى الله

وأجري على الله وحده "

فيمن الله عليك بنعمة كبرى، هي لمسة من لمسات حنانه، حيث يمنحك قلبا ملينا بالإيمان به . . بصيراً بطريق النور.. نابضاً بالحب

والخير.. متحلياً بالقرآن الكريم.. مزوداً بالعلم القويم على الصراط المستقيم.. فتنعمين بالسلام الروحي الممدود والاطمئنان القلبي المشهود، والأمن النفسي المنشود.

توقف يا زمان . . .
فالإرهاب يدمِّر جمالك

لقد خلق الله الوجود، وخلق معه الحب والجمال والحنان والهدوء، حتى يصبح الزمان . . زمان الأمان والاطمئنان، يسوده الخير والسلام، والاستقرار النفسي المنشود.

ولننظر إلى ما حولنا في هذا الزمان . . نجد كل صورة جميلة وقيمة عظيمة تُدمَّر بالإرهاب الذي أصبح سائداً في هذا الزمان.

فئة تدمر، وتقتل، وتسرق، وتغتصب، وتحل ما حرمه الله، وتنتهك حرمات الله. ومن الغريب أنها مع كل ذلك ترتدي ثوب الإسلام والإيمان.

الإيمان سلوك في طريق الله ولمرضاة الله . . . فكيف تفعلون ما يغضب الله وتقولون: إنه من الإيمان ؟ كبُرَ مقتاً عند الله الذين يقولون ما لا يفعلون.

أين الإيمان في الإرهاب؟ أين حب الله في صور الفساد؟ أين مرضاة الله في انتهاك حرمات الله وقتل النفس التي حرم الله قتلها.

إنكم بهذه الأفعال تقتلون وتدمرون كل ما هو طيب وجميل . . تظنون أنكم بذلك تملكون الدنيا، ولكنكم نسيتم شيئاً هاماً وهو: أن الله يمهل ولا يهمل، وأنكم بذلك تزرعون طريق الشر وتفتحون أبواب جهنم أمامكم وتخرجون من رحمة الله.

أيـها الزمـان توقـف وتـأمل فيمـا حولـك . . فـإن الإرهـاب يدمـر جمالك.. فواجهـه بحـب الله مسـتعيناً بقـوة الله ناشـراً الخـير والسـلام فـي الأرض حباً لله ومرضاة له وحده . . . يعود الجمال لهذا الزمـان، ويسـود الحنان والأمان وتسعد النفس الطيبة بوجود خلقه الله في أجمـل صـورة ، وأعظم آية فتسجد سجوداً خاشعاً لله الواحد القهار قائلة:

"سبحان الله العظيم . . وتبارك الله أحسن الخالقين"

فضائل الذكر

يعتبر الذكر سبيل من سبل القرب من الله، ومن العبادات الهامة التي يقبل عليها الإنسان المؤمن المحب لله، ويهتم بها اهتماماً بالغاً.

وينبع هذا الاهتمام من حب العبد المؤمن لله سبحانه وتعالى، وطاعته له، حيث أدرك حب الله العظيم لعبده الذاكر ورضاه عنه، ولقد حث الله سبحانه وتعالى في الكثير من آياته الكريمة على الذكر:

قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٥]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢]

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ * قِيَٰمًا وَعَلَىٰ قُعُودًا جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١]

* تصحيح (قِيامًا وقُعُودا وعلى جُنُوبهم)

﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٥]

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء:١٠٣]

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٥]

وكما حث الله سبحانه وتعالى على الذكر أعلن جل جلاله أنه يذكر من يذكره.

ولكن كيف يكون ذكر الله لعبده . . ؟

إن ذكر الله لعبده الذي يذكره، هو كشف الحجب عنه، ويفيض الله عليه برحمته وإحسانه، ويحبه، ويرفع ذكره في الملأ الأعلى . . مما يدل على أهمية الذكر ومكانته عند الله، وأنه طريق الحب إليه عز وجل، وسبيل القرب منه سبحانه وتعالى . . . فهو نور يضيء للإنسان الطريق، ويقوده إلى الله.

وللذكر فضائل عديدة، وآثار نفسية رائعة، وثمرات جليلة منها:

١. أنه يعين الإنسان على مجابهة الصعاب.

٢. يساعده على التغلب على العقبات.

٣. يجعله قادراً على طرح رياء النفس جانباً.

٤. يعمل على إخلاء القلب من الآفات.

٥. يصرف عن النفس الخواطر المذمومة.

٦. يدفع عن الإنسان غواية الشيطان.

٧. يزيل عنه الحقد والغل والحسد والاغتراب.

٨. ينقي القلب ويجعله قابلاً لاستقبال المعاني الإلهية والأسرار الربانية وينزل على النفس الأمن والسكينة.

٩. كما أن الذكر باب إلى الاستقامة والاعتدال إذ يجنب الإنسان الانحراف وارتكاب المعاصي لأن فيه حلاوة الاتصال.

ولا يقبل على الذكر إلا الإنسان المؤمن بالله إيماناً يقينياً والمحب له سبحانه وتعالى حباً خالصاً ، فيكون الذكر هنا شجرة حب حيث يذكر العبد المؤمن الله، ويسبح بحمده، ويقدسه، ويثني عليه بحب، فيفيض الله عليه بآيات حبه، وإشراقات نوره، وآثار رحمته، وأبواب رضاه.

ومن هنا كان الذكر شجرة حب نورانية لا تثمر إلا النور، والحب، والقرب، والجمال، والسكينة النفسية، والطمأنينة القلبية . . والسعادة الروحية الغامرة.

الصدق

الصدق هو الإخبار عن الشيء بما هو عليه، وإظهاره على حقيقته، وهو من الأخلاق الحميدة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان حتى يكتب عند الله صادقاً صديقاً، ويفوز بالقرب منه سبحانه وتعالى، فالعباد المقربون هم العباد الصادقون.

والصدق على الحقيقة هو الفضيلة الأساسية للحياة الإنسانية، ولقد كان خلق الرسول عليه الصلاة والسلام الصدق، وكان الصحابة يؤثرون الصدق مهما كان وراءه من الألم والصعاب لأن الكذب لا يدعم الإنسان، ولا ينشئ الأخلاق، ولا يقيم الأمم ولا المجتمعات.

والصوفية يرون أن الصادق هو من اعتاد الصدق، فإذا وصل إلى العادة أصبح صدوقاً، وهنا يصبح الصدق من أخلاقه في الدنيا والآخرة، فيمن الله سبحانه وتعالى عليه بمرتبة هي أعلى المراتب والمقامات الروحية، وهي مرتبة الصديقين.

ولا صدق إلا عن طريق الحق، لأن العدل والحق صدق أو من الصدق، والعارف هو الذي يتجه نحو الصدق، ويمتاز عارف من عارف بدرجة صدقه، لا بدرجة ما يحصل عليه من العلوم.

فالصدق قوة للعارف في سيره إلى غايته، ولذلك كانت التقوى درجات، والإيمان مراتب . . حسب درجات الصدق في التقوى والإيمان.

ومراتب الصدق ثلاث هي:

١. **مرتبة المتقين** : وهم أصحاب الإرادات القوية الذين يتبعون تعاليم الشريعة الإسلامية من أمر بمعروف، ونهي عن المنكر، والإخلاص في السير والسلوك.

٢. **مرتبة الصادقين**: وهم الذين استكملوا طريقهم وسلكوا سبيل الصدق فدخلوا في رحاب المعرفة وأصبحوا من الصادقين.

٣. **مرتبة الصديقين**:وهم أصحاب الحكمة العليا أو الولاية العظمى من العلماء والحكماء، حيث يدفعهم صدقهم لمواصلة السير في طريق الله، فيدركون هذه المرتبة الثالثة بأمر الله . . تلك هي مرتبة الصديقين.

الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه، وأهم ما يلقن المريد في الطريق الصوفي الصدق . . فلا صلاح بدونه، ولا يرجى فائدة بغيره.

ولقد قيل عن الصدق أنه القول الحق في مواطن الهلكة، وأنه موافقة السر النطق، وأنه الوفاء لله عز وجل بالعمل.

كما قيل أن مدار الحكمة على ثلاث أشياء: الصدق، والتصديق، والتحقيق، فالصدق باللسان ، والتصديق بالقلب، والتحقيق بالجوارح.

ويرى الحكيم الترمذي أن الصدق يتعلق بناحيتين إحداهما عقلية وأخلاقية، وبهذا يدخل في شعبة العدل الذي هو من شعب المعرفة، ومن ناحية أخرى يتعلق الصدق بالناحية الاجتماعية فيضم بين جنباته أيضاً جانباً كبيراً من شعبة الحق.

وبهذا المعنى يكون الصدق عند الحكيم الترمذي الصورة المتطورة للمعرفة، والتي تبدأ بالحق ثم تتدرج إلى أن يصل إلى الصدق نفسه بعناصره ومقوماته، ويحدد الحكيم مقومات الصدق في ثلاث: المثل العليا، علم الأسرار، البصيرة.

ولقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة عن الصدق والصادقين والصديقين:

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس:٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩]

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾

[النساء:٦٩]

والصادق من صدق في أقواله، والصديق من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله . . ومن أراد أن يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق فلقد قال الله تعالى: [إن الله مع الصادقين]

والصدق يكون في النية أولاً، ثم صدق اللسان ثم صدق العمل، والصدق أصل سائر أعمال البر، وعلى قدر قوة الصدق يزداد العبد في أعمال البر . فإذا وقر الصدق في القلب سطع من ذلك نور وانتشر في سائر جسده وأخذت كل جارحة من جوارحه بقسطها.

وحقيقة الصدق أن تصدق في مواطن لا ينجيك منها إلا الكذب، وعلامة الصدق ألا يبالي الإنسان الصادق لو سقط قدره من جميع الخلق من أجل إصلاح قلبه.

ومن فوائد الصدق وثماره هو الطمأنينة الكاملة، والرضا، لأن الإنسان الصادق لا يعبأ بأي شيء، ولا يهتم ولا يخاف ولا يخشى أحداً إلا الله سبحانه وتعالى . . فكل عمل يقوم به، وكل قول، وكل كلمة، وكل حرف ينطق به إنما يكون مرضاة لله وحده.

وتجد مثل هذا الإنسان الصادق يحب الحياة لأنه يرى فيها أجمل معاني للصدق والحق والخير والجمال، وتجده إنساناً يغار على الحق، ويثور من الكذب، وينفعل بشدة إذا ما اتهمه أحد بالكذب . . فالصدق شيء له قيمة غالية عنده كالشرف، ويعتبر هذا الإنسان الطعن في صدقه كالطعن في شرفه وكرامته، لأنه يعتبر أن الصدق هو قيمته الحقيقية كإنسان خلقه الله وصوّره في أحسن تقويم.

ويرتبط الصدق دائماً بالإخلاص والصبر ارتباطاً قوياً، وإذا صدق الإنسان في النية والقول والعمل فهو بالتالي سيستمتع بالإخلاص في النية والقول والعمل والإخلاص والصدق يقودان بلا شك إلى الصبر لأن من صدق أخلص، ومن صدق وأخلص أصبح الصبر صفة ملازمة له حيث أن الصبر يستلزم أن يكون الإنسان صادقاً مخلصاً.

فهذه ثلاثة أصول لا تتم إلا ببعضها، فمتى فقدت إحداها تعطلت الأخرى:

فالإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه، والصبر عليه.

والصبر لا يتم إلا بالصدق فيه ، والإخلاص فيه.

والصدق لا يتم إلا بالصبر عليه، والإخلاص فيه.

إن الصدق هو القيمة الحقيقية في حياتنا، وهو المصباح المنير الذي يجب أن يحمله كل إنسان ليضيء له الطريق وينير حياته فيشعر بأنه على سجيته يتفاعل مع كل شيء، ويتعامل مع كل أمر بفطرة سليمة وسريرة صحية نقية.

والإنسان المؤمن القريب من الله هو الإنسان الصادق حقاً، لأن الله هو الحق ويحب أن يتحلى عبده المؤمن بالصدق ليفوز بالقرب منه.

اليقين

اليقين هو التصديق الجازم، أي التصديق الذي لا يعتريه ريب، وهو إزاحة الشك، وبه بلغ عباد الله الصادقين مراتب عليا ومقامات رفيعة عند الله تعالى، لأنهم وقفوا على حقائق التوحيد لله سبحانه وتعالى دون أدنى ارتياب، مصدقين بالغيبيات وملتزمين بالعبادات، يرون التوكل على الله في أمور الحياة مع الأخذ بالأسباب أسمى الغايات، كما يرون في حسن الأخلاق وجمالها جوهر السلوكيات.

والقرآن العظيم هو قمة اليقين، كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ ﴾ [الحاقة:٥١]

وباليقين صارت أحوال المؤمنين الصادقين خير.

واليقين بالله في كل شيء هو من استمدادات الولاية الواضحة، وقد ورد لفظ اليقين في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٩]

واليقين في أربعة: وجود الله سبحانه وتعالى ، والقرآن الكريم ، والإسلام خاتم الرسالات الإلهية ، والموت.

ولقد قسم علماء الصوفية اليقين إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: علم اليقين:

هو العلم الكوني أو العلم الإلهي الذي لا ريب فيه، وهو منحة ربانية يحظى بها الأولياء والصالحون، والمقربون، والصديقون عن طريق الإلهامات، والتجليات، والفتوحات، والكشوفات، والمشاهدات، والفيوضات، والرؤى.

وهذا العلم سر من الأسرار يودعه الله قلب عبده المخلص، وهو علم وهبي وسيلته البصيرة، ويختلف عن العلم الكسبي، الذي وسيلته الإبصار والذي يحصل السالك عليه بالمجاهدة والنظر بطريق العلم والتلقين.

أما العلم الوهبي، فهو علم يقيني وهو هبة أو منة إلهية يهبها الله لمن يشاء من عباده.

ولقد ذكر هذا العلم الإلهي اللدني في آيات عديدة

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف:٦٥]

ثانياً: عين اليقين:

يرى أئمة الصوفية أن عين اليقين هو العلم اللدني ذاته أو الهبة الربانية نفسها، وعين اليقين واردة في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ﴾ [التكاثر:٥-٧]

ثالثاً: حق اليقين:

هو منتهى غاية الواصلين للعلم الإلهي، فهو الصدق اليقيني الذي يشهده السالكون في المقامات العليا، ويراه الشيخ الأكبر [ابن عربي] هو ما حصله المريد الصادق من العلم حسب مجاهداته وإخلاصه وطاعته وصدقه بل حسب ما قدَّر له الله أن يعاين ويشاهد من العلوم الإلهية التي هي فضل من عند الله.

هذه هي أقسام اليقين عند الصوفية، ولقد قيل عن اليقين أنه إذا وصل إلى القلب يملؤه نوراً، وينفي عنه كل ريب، ويمتلئ به شكراً ومن الله تعالى خوفاً.

واليقين بهذا المعنى هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب، وقال ابن عطاء: { على قدر قربهم من التقوى أدركوا ما أدركوا من اليقين، وأصل التقوى مباينة النهى، ومباينة النهى مباينة النفس، فعلى قدر مفارقتهم للنفس وصلوا إلى اليقين}.

ولقد قيل أن هناك ثلاثة أوجه من أعلام يقين اليقين وهي: النظر إلى الله تعالى في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال.

وابتداء اليقين هو المكاشفة، وصحة اليقين في ثلاث: سكون القلب إلى الثقة بالله تعالى، وإنفاذ أمر الله تعالى، والوجل من سابق العلم.

ولليقين أول وآخر.. فأوله الطمأنينة وآخره إفراد الله تعالى بالكفاية:

قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزمر:٣٦]

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنفال:٦٤]

والحسب هو الكافي، والمكتفي هو العبد الراضي.

واليقين سببه التيقظ، والشك سببه الغفلة.

إن اليقين في جوهره هو نور يودعه الله قلب عبده المؤمن فتشهد الحقيقة كلها ويشعر بالصدق مما يشهده والإيمان الكامل بما يراه، ويعاينه من فضل الله وإحسانه مما يقوده إلى التصديق المتكامل الموصل إلى اليقين الذي لا ريب فيه. ونجد مثل هذا الإنسان الموقن يتصرف ويتفاعل مع كل شيء بإيمان وإيقان كلي لا يهتم بتصديق أو تكذيب غيره له، فهو إنسان واضح مؤمن موقن بما يفعله يتمتع بالصفاء والنقاء والثقة بالله واليقين بما يأتيه من عند الله.

فاليقين إذن هو الثقة الكاملة المطلقة بالله، والثقة بالله تورث اللجوء إليه وحده في كل أمر، واللجوء إليه وحده يعني قمة العبودية لله الواحد القهار القادر على كل شيء، الرحمن الرحيم رب العرش العظيم.

الاصطفاء

معنى الاصطفاء هـو الاجتبـاء، فـالعبد المجتبــي منـذ البدايـة أمـره رهن القبضة الإلهية، ويرى الحكيم الترمذي أن المجتبي هو المصطفى، وهو الذي في أول الأمر لم تزهد نفسه بعد بحيث تصلح لما أعـد لـها مـن مرتبة، ولذلك فإنه يحال بين المجتبي وبيـن نفسـه إحالـة كاملـة، حتـى لا تشارك القلب في عطاياه ويتولى الحق هذه النفس بالعناية، ويفيض عليها قليلاً قليلاً على قدر ما تحتمله من أنوار العطاء الإلـهي وإشـراقات الفتـح الرباني حتى يزال عنها الـهوى وحـلاوة شـهوات الدنيـا، ثـم يسـكرها الله تعالى بحلاوة العطـاء وحـلاوة القربـى، وحينئـذ تصـل إلـى مقـام القربـى العظمى فتحظى بما يحظى به القلب فـلا يصبـح هنـاك حـائل بيـن القلـب وبينـها لأنـها أصبحـت طائعـة ولا تقـدر هـذه النفـس أن تدنـس القلـب بشهواتهـا حيث لا طلب ولا شهوة لـها لأن كـل شـيء أصبـح بمشـيئة الله وبقـدرة الله، وأصبحت هذه النفس سالمة مستسلمة لله، محبة لله ، وعندئـذ تنتقل مع القلب من ملك إلى ملك، ومن مرتبة إلى مرتبة حتى تصـل إلـى مقام الصديقية العظمى، وهـو المكـان الـذي رتـب لـهذه النفس بيـن يديـه تعالى فتصل إلى هذه المنزلة ويفتح الله لها، ثم ترجع فتصير فــي قبضتـه سبحانه وتعالى .

والعبـد الـذي يصطفيـه الله عز وجل، ينقيـــه مــن شــوائب الدنيـا وشهواتها ثم يهديه إليه عز وجل ويخلصـه لـه وحـده، حيث يصبـح هـذا

العبد المصطفى خالصاً لله ، مستسلما له وحده، آملاً في سلك طريق الله، ناشداً رضاه ، طامعاً في القرب منه، ويرتفع فوق الشهوات، حيث تنزع منه كل شهوة أو هوى ولا تصبح نفسه مشتاقة أو مشدودة إلى أي شهوة ويشعر بأنه مشدودٌ فقط إلى الله مشتاقٌ إليه مشغول به وحده، يريد أن يجعل كل حركة يقوم بها، وكل نبضة ينبض بها، وكل لحظة في حياته تتحرك وتتجه نحو الله فقط . . . فلقد أصبح إنساناً خالصاً لله، ومن كان لله ، كان الله له.

فالاصطفاء نعمة من عند الله، فهو اجتباء من الله وهداية منه تعالى.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ ﴾ [الأنعام:٨٧]

الأنس بالله

من يكن قلبه مشغولاً بحب الله . . عامراً بالإيمان به سبحانه . . يجد في نفسه الأمان والسلام والاطمئنان . . . ويشعر بالأنس بالله في كل لحظة في حياته . . مستأنساً بذكره له سبحانه وتعالى . . . بعبادته له عز وجل . . . بتلاوته للقرآن الكريم.

والأنس بالله شعور يمتزج بالهيبة والخشوع، يغمر كيان الإنسان كله مما يجعله يجد سعادته في خلوته، وهناءه في وحدته، يناجي ربه . . يشكو همه إليه . . يشكره على نعمته . . يتغنى بالدعاء له والثناء عليه والتسبيح والتقديس له عز وجل، ويشعر بأن كل ما في الكون من مخلوقات نغمات مميزة تشترك معه في التسبيح لله عز وجل فيحس بأن هناك ألفة ومودة بينه وبين الطبيعة وجميع المخلوقات الأخرى . . هناك صداقة بينه وبين الكون . . أنه يفهم لغة الكون . . والكون يفهم لغته، وهذه اللغة المشتركة بينهما هي التسبيح والشكر لله والإحساس بآثار حب الله في الوجود كله.

والأنس إحدى آثار المحبة، وهو حال يصل إليه السالك معتمداً على الله، ساكناً إليه ، مستعيناً به، وفى الأنس تبقى الهيبة مع الله ، وبذلك يكون الأنس طمأنينة ورضا بالله.

ولا يشعر الإنسان المؤمن المحب لله بالأنس في أوقات العبادة فقط.. فإن فضل الله عليه عظيم حيث يفيض الله عليه بالأنس في أوقات

الانشغال والاهتمام بأمور الحياة اليومية لأن الله يغمر ويملأ قلبه وكيانه كله، فأصبح الأنس بالله يحيط به سواء في وقت الانشغال أو في وقت العبادة.

بعض الناس يعتقدون أن الوحدة تعني أن يعيش الإنسان وحيداً أي وحدة الوجود الإنساني، في حين أن الإنسان المستأنس بالله في كل لحظة أيقن وعرف أن هذا ليس هو مفهوم الوحدة أو الغربة ، فإن الشعور بالوحدة هو فراغ القلب من حب الله . . . . . والشعور بالغربة هو فراغ القلب من الأنس بالله.

فإن الأنس الحقيقي هو أنس الله وليس أنس الإنسان، وأن الفراغ الحقيقي هو فراغ القلب من حب الله وليس فراغ الوجود الإنساني.

فمن الممكن أن يكون الإنسان حوله حشد من الناس ومع ذلك يشعر بالوحدة والفراغ القلبي، ومن الممكن أن يعيش وحيداً ولكنه يحس بالأنس وكأن المخلوقات والكائنات جميعها اجتمعت وحضرت لتؤنس وحدته مع أنه في الحقيقة يعيش وحيداً بمفرده.

إذن فليس معنى الوحدة هو انعزال الوجود الإنساني، وإنما هو فراغ القلب من حب الله ومن الأنس بالله.

ويقودنا الإنسان المحب لله الذي يملأ حياته الأنس بالله إلى حقيقة هامة لابد أن نقف عندها في لحظات من التأمل العميق :

إن الأنس هو أنس الله
وأن الحب هو حب الله

ومن يستأنس بالله فإن الله يؤنسه ومن يحب الله فإن الله يحبه، ويمن عليه من فيوضاته وعطائه ما يشغله ، ويؤنس وحدته، حتى ولو عاش وحيداً في هذا الوجود.

أما من كان قلبه فارغاً من حب الله والأنس بالله ، فإنه سيشعر بالوحدة والغربة والعزلة حتى ولو كان حوله الناس جميعاً ، وهنا سيغلق القلب أبوابه وستفتح النفس أبوابها التي تقود الإنسان إلى سبيل الشهوات والنزوات والهوى، فيضل السبيل ويسلك طريق الضياع، والحيرة ، والتخبط، والهلاك الذي يودي به حتماً إلى الشقاء.

فالقلب دائماً يفتح أبواب طريق النور. أما النفس فتفتح أبواب طريق الهوى.

وانشغال القلب دائماً بالله وحب الله يفتح لنا أبواب طريق النور بأمر الله حيث الأنس بالله، والسلام النفسي مع كل شيء في الوجود ، فترتقي النفس إلى حيث يجب أن تكون من الصفاء . . . والنقاء . . . والنورانية.

النفس الملهمة

لكل نفس إنسانية صفات وأوصاف توصف بها وهي ما فُطر عليها الإنسان وتربية النفس وتهذيبها يؤدي إلى ترقي النفس من درجة إلى درجة ، ومن منزلة إلى منزلة ، ومن مقام إلى مقام . . . وفي كل مرحلة من هذه المراحل تتصف النفس بسمة معينة تعرف بها وهذه السمات هي ما يجب أن يسعى إليها الإنسان حتى يحظى برضا الله ومحبته، وهذا لا يأتي إلا بعمل الإنسان وبسعيه ومجاهدته.

وتُقسَّم درجات النفس وأحوالها ومقاماتها إلى أقسام سبعة :

١. النفس الأمارة

٢. النفس اللوامة

٣. النفس الملهمة

٤. النفس المطمئنة

٥. النفس الراضية

٦. النفس المرضية

٧. النفس الكاملة.

وفي كل مقام من هذه المقامات تجد النفس طريقاً إلى الله . . . وعالماً تعيش فيه . . . وحالاً تستقر عليه . . . ونوراً ترتقي إليه.

والنفس الملهمة سمة تظهر وتتضح إذا صدقت النفس وكانت عاملة عابدة لله، واستمرت في المجاهدة وأصبحت المحاسبة طبعها الدائم وخلقها الثابت فتتمسك بالقيم العليا من خير وإحسان .. بر وفضيلة.. فتستحق أن تلقب بالنفس الطائعة . . المطيعة لله . . التي تنشد الخير الفاضل والسبيل الأهدى، فهي تعترض بالكلية على ما هو شر . . وتقبل على كل ما هو خير . . وهنا تلهم بالصالحات من الأعمال الهامة حتى تحظى بالدرجات العليا بفضل الله ومنته وتثبت في مقام النفس الملهمة.

والإلهام نعمة ومنحة ومنة من الله يهبها سبحانه لمن يشاء من عباده ليهديهم إلى الحياة المثلى في طريقهم . . فهو نور يضيء حياتهم ويقودهم إلى الهُدى فيعملون ويسلكون ويرتقون ويخلصون حباً لله وفي طريق الله طامعين في القرب من الله.

والإلهام هداية إلى طريق الحق " **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**" وقد يُكشف لبعض الصادقين عن طريق الإلهامات بعض علم الله تعالى ، وعجائب قدراته وبدائع آياته في الدنيا والآخرة، ولذلك يتفاوت الناس في العلم والمعرفة ولا تتوقف المنن الإلهية ولا العطايا الربانية فهي لا نهاية لها.

والعلم الإلهامي نور يقذفه الله في قلب عبده المؤمن فيصبح علماً وعالماً ومعلوماً جميعاً ، والقلب الصادق مرآة مستعدة لأن يتجلى فيها حقيقة الحق بالأمور كلها.

يأيتها النفس المُلهمة اسلكي طريق الله حباً

اعملي لله حباً . . . اخلصي لله حباً . . .

اشكري لله حباً . . . كوني صادقة صافية لله حباً . . .

ولتكن حياتك هي حب الله فتسيرين في نور الله . . . وتحظين برضاء الله . . . وعطاء الله . . . وفيض الله . . . ورحمة الله . . . وهُدى الله . . . وإن هدى الله لهو الهُدى.

الأوفياء والخبثاء

الأوفياء قليلون   والممثلون كثيرون

وما أسهل خداع النفس الطاهرة

بدور الوفاء والصدق والإخلاص

كانوا أصدقاء   وظننت أنهم أوفياء

وبعد زمن ليس بقليل   كشفت لها الأيام والمواقف

أنهم ممثلون يلعبون دور الأوفياء.

فواجهتهم وكشفت لهم حقيقتهم المزيفة، فأنكروا وتكبروا فآثرت الابتعاد لأن الطريق اختلف ولم يعد واحداً .

لم يقبلوا ابتعادها عنهم فأكثروا من توددهم وتقربهم لها والغريب أنهم لا يزالون يلعبون دور الأوفياء.

تاهت الحقيقة وكان الملاذ اللجوء دوماً إلى الله فناجته قائلة:

رباه :   لن ألجأ إلا إليك

ولن أستعين إلا بك

ولن أسأل إلا أنت وحدك.

هذا عهد علي . . ألتزم به فاشهد يا إلهي وأنت سبحانك أعظم الشاهدين.

اللهم نور بصيرتي . . لقد تاهت الحقيقة مني

هل أصدق نور قلبي الذي يرشدني ويقودني إلى طريق الخير؟

أم أصدق الزيف الخادع الذي أمامي ويبعدني عن طريق الخير؟

اللهم أضئ لي شمعة من شموع الحقيقة.

حتى أهتدي بها إلى طريقي الذي ترضاه.

فسمعت صوتاً قوياً في داخل نفسها يهزها ويهز كل ذرة في كيانها:

إنهم لمخادعين ممثلون يلعبون دور الأوفياء

إنهم من جنس الشياطين فلا تأمني لهم وابتعدي عنهم

فأنت من الأبرياء وهم من الظالمين

انهم خبثاء وما هم بأوفياء

بأمر الله ادخلي في طريق النور . . . طريق الخير . . . طريق الصلاح ولا تلتفتي ورائك، وكوني من الحامدين الشاكرين الصالحين، الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلاما.

فرح القلب بعد سماع هذا الصوت واستعادت النفس هدوءها وسجدت الفتاة حمداً وشكراً لله، قائلة بحب وخشوع:

لا اله إلا الله والحمد لله رب العالمين

اللهم اجعلني في رضاك . . أسير في طريق حبك أنعم مع الأوفياء المخلصين بلمسات عطائك وقربك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

هل يستطيع الشيطان أن يقرأ ويكتب..؟

إن أبواب البحث دائماً مفتوحة أمام كل إنسان كـي يحقـق دعـوة الله إليه في التأمل والتفكر والتبصر والاجتهاد.. داعياً الله سبحانه وتعـالى أن يرشده ويهديه إلى الطريق السليم والمعرفة الصحيحة.

وفي غمرات البحث والتفكر هناك تساؤل يطرح نفسه على السـاحة الفكرية وهو:

" هل يستطيع الشيطان أن يقرأ ويكتب..؟ "

لا يوجد نص قرآني يثبت لنا ذلك بل أوضح لنـا القـرآن الكريـم فـي آياته الكريمة في وصف الشيطان بأنه عدو الله ويجب أن يتخـذه الإنسـان عدواً له وسيحاول الشيطان بكل ما أوتي مـن سلطان أن يغـوي ويضلـل عباد الله، والغواية هي إبعاد الناس عن طريق الله وتزيين الباطل لهم.

وتوضح لنا الآيات القرآنيـة الكريمـة بـأن عبـاد الله المخلصيـن فـي نجاة من الشيطان بعناية الله وحفظه لهم.

ولقد كشف لنا الله عز وجل النقاب عن طرق إغواء الشيطان حيـث أقسم بعزة الله بأنه سيغوي عباده جميعاً وذلك بأنه:

١.سيبعدهم عن الطريق المستقيم:

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٦]

٢. وسيأتيهم من كل جهة ممكنة . . من بين أيديهم، ومن خلفهم ومن يمينهم وشمالهم:

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف:١٧]

ويطمئن الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأن كيد الشيطان لا يؤثر على ملك الله حيث يقول سبحانه وتعالى للشيطان ومن يتبعونه:

﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤ ﴾ [الإسراء:٦٤]

إذن أوضح لنا الله عز وجل أن الشيطان سيغوي الإنسان ويضله ويوسوس له حيث يزين له الباطل ويبين لنا سبل الغواية، ولكن لمسات الحنان الإلهي فياضة على عبده المؤمن حيث أعطاه الدواء الواقي وسبل النجاة من الشيطان وشره ووسوسته وضلاله والتي تتلخص في الاستعاذة بالله، وذكر الله كثيراً، والمجاهدة في الله بكثرة الرياضات وعمل الطاعات وتربية النفس وترويضها.

ومن طبيعة الشيطان كما وردت في الآيات القرآنية أنه يسمع ويرى حيث لا نراه، ولكن لم يوجد نص قرآني صريح بأن الشيطان يستطيع أن يقرأ ويكتب في الوقت الذي أنعم الله فيه على الإنسان بنعمة

القراءة والكتابة والمعرفة... حيث علم آدم الأسماء كلها في حين أن الملائكة لم تكن تعرف هذه الأسماء، وهنا أدرك الملائكة أن آدم هو المخلوق الذي يعرف . . وهذا أشرف شيء فيه قدرته على التعلم والمعرفة.

وهناك أيضا كان أول أمر إلهي تلقاه الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يقرأ . . وهنا بدأت الدعوة إلى القراءة والمعرفة.

وهنا نتذكر قصة سيدنا سليمان عليه السلام عندما طلب إتيان عرش بلقيس فقال نفر من الجن بأنه يأتيه به قبل أن يقوم من مقامه، ولكن الذي عنده علم من الكتاب قال له أنه يأتيه به قبل أن يرتد طرفه.

وهذا دليل مادي واضح يعطي قوة إلى العلم تفوق قدرة الجن والشيطان.

ولقد بين لنا القرآن الكريم بأن الجن عندما عرف بالقرآن الكريم قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدي إلى الرشد ، ولم يقولوا : إنا قرأنا . . .

وهذا إيضاح بأن السمع كان وسيلة المعرفة للجن ولم تكن القراءة وإنما وسيلة المعرفة للإنسان هي القراءة والكتابة والتعلم والمعرفة.

وهذه نعمة فضّل الله بها بني آدم على سائر المخلوقات.

وطبقاً لما ورد في الآيات القرآنية الكريمة، لا أعتقد بأن الشيطان يستطيع أن يقرأ ويكتب ولكنه يستطيع أن يغوي ويضلل ويوسوس ويسترق السمع. ولذلك فإن الإنسان يستطيع بفضل من الله وسلطان من عنده سبحانه أن يقهر الشيطان.

ولا أجزم بشيء والله أعلم ولكنني كباحثة أطرح هذا التساؤل على الباحثين والمفكرين والعلماء لعلهم يفتحوا أمامنا الباب نحو آفاق جديدة من المعرفة.

ولا زالت أبواب البحث مفتوحة أمام الباحثين داعين الله جل جلاله أن يهدينا إلى سواء السبيل ويمنحنا الرشد القويم، ويقينا عثرات الطريق.

كيف تنجو من الشيطان

لقد أوضح لنا الله عز وجل حقيقة هامة وهي أن الشيطان عدو الله ويجب أن يتخذه الإنسان عدواً، وهو أيضاً عدو الإنسان المؤمن وسيحاول بكل ما أوتي من سلطان أن يغوي ويضلل عباد الله والغواية هي إبعاد الناس عن طريق الله وتزيين الباطل لهم.

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾ [فاطر:٦]

﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ ﴾ [يس:٦٠]

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٥ ﴾ [محمد:٢٥]

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٠ ﴾ [المجادلة:١٠]

قال تعالى : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة:١٩]

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأعراف:٣٠]

فمنهج إبليس هو إبعاد الإنسان عن طريق الله ودفعه إلى طريق الشر وأن يمنعه أن يفعل شيئاً لآخرته، ومن هنا فهو يزين له الحياة الدنيا بما فيها من متع مادية ويحاول أن ينسيه الآخرة بما فيها من نعيم دائم.

فأسلوبه وطريقته لإبعاد الإنسان عن طريق الخير هو الغواية، ولذلك أصر الشيطان على المعصية عندما طرده الله من رحمته، ولعنه حتى يوم الدين لعدم طاعته لله في السجود لآدم، حيث يصر على المعصية ويمعن فيها فيقول:

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص:٨٢-٨٣]

وفي آية أخرى يقول:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر:٣٩-٤٠]

إذن هنا إصرار على المعصية وعلى غواية الإنسان بالشر لإبعاده عن طريق الله إلا عباد الله المخلصين الذين سينجون من الشيطان بعناية الله وحفظه لهم.

وتستوقفنا الآيات الكريمة التي يبين الله عز وجل لنا فيها طرق إغواء الشيطان للإنسان المؤمن :

قال تعالى : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٦]

أي أن إبليس لا يبذل جهده لمن باع نفسه، وانطلق يخالف كل ما أمر به الله . . فالنفس الأمارة بالسوء لها شيطانها وهي ليست محتاجة إلى إغواء لأنها تأمر صاحبها بالسوء، وبذلك فإن إبليس لا يذهب لأماكن الفساد ويبذل جهداً فيها لأن هذه لا تحتاج إلى جهد منه . . فكل من ذهب إلى هذه الأماكن إنما هو ذاهب إلى معصية وليس في حاجة إلى إغواء وقد اختار هذا الطريق، ولكن إبليس يذهب إلى مهابط الطاعة أو أماكن العبادة . . هؤلاء الذين يبذل معهم كل جهده أو كل حيله . . وإغوائه ليصرفهم عن عبادة الله، ولذلك لم يقل إبليس في حديثه لأقعدن لهم على الطريق المعوَّج لأنه الطريق المعوج لا يحتاج إلى جهد لأن بطبيعته يتبع الشيطان ومن هنا فإن إبليس يغوي أهل الطاعة . . لا أهل الشر والفساد بأن يزين لهم المعصية أو يغويهم بمد أيديهم إلى المال الحرام أو يزين لهم أمراً من أمور الدنيا التي نهى عنها الله سبحانه وتعالى.

ثم يمعن الشيطان في المعصية حيث يبين الله سبحانه وتعالى طريق الغواية الذي سيتبعه الشيطان فيقول:

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف:١٧]

أي أن الشيطان سيحيط بالإنسان من كل جهة ويحاول غوايته ووسوسته له ولكن هناك جهتين لا يأتي منهما الشيطان أبداً فلم يقل:

" ومن فوقهم " لأن ذلك مكان رفع الصلوات والدعاء إلى الله ، ولم يقل " ومن تحتهم " لأن ذلك مكان السجود.

وهنا يبين الله سبحانه وتعالى أن كيد الشيطان لا يؤثر على ملك الله ، فعندما يقول الشيطان أنه سيأتي للإنسان من الأمام والخلف واليمين والشمال يحيط به . . يقول الله تحقيراً لشأن الشيطان ومن يتبعونه:

﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤ ﴾ [الإسراء:٦٤]

فالشيطان يتوعد الإنسان ويقول له أن سيغرر به في الدنيا عن طريق التزيين له وأنه سيحيط به ليغويه في كل لحظة . . والله سبحانه وتعالى يقول له بل افعل أكثر من هذا . . املأ آذان من استطعت منهم

بصوتك وارهبهم بالقوة سواء كانت من الخيل أو راجلة تمشي على أقدامها وشاركهم في الأموال والأولاد . . . كيف يحدث ذلك؟ هل للشيطان صوت نسمعه . . ؟ هل للشيطان قوة حربية تحاربنا ؟ هل للشيطان أموال وأولاد؟

نعم . . كل قوى الشر في العالم يستخدمها الشيطان . . فهناك من الذين كفروا من ينطقون باسمه وينشرون الكفر والإلحاد . . . وهناك جنود الشيطان الذين يحاربون الحق ويعتدون على الآمنين ويبيدون الشعوب المؤمنة ويخنقونها سواء أكان اقتصادياً أم عسكرياً.

وهناك المال الحرام الذي يزينه الشيطان للناس فيرتكبون به المعاصي . . فهذه مشاركة الشيطان في المال يحوله من حلال إلى حرام، وهناك مشاركة الشيطان في الأولاد أن ينشأوا على غير طاعة الله ، وينشئوا وقد عرفوا المعاصي ولم يعرفوا الطاعة . . . كل هذا متاع الغرور أي ليس حقيقة . . . ولكنه مجرد غرور وكبر في الدنيا ، ثم تأتي نهاية الحياة فلا يأخذ الإنسان معه شيئاً إلا المعاصي . . . يترك المال . . ويترك القوة . . ويترك الجاه . . ويترك السلطان ولا يجد إلا الله ليوفيه حسابه.. كل ما في الدنيا متاع الغرور إلا الطاعة مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾

[آل عمران:١٨٥]

والغرور هنا معناه الوعد الكاذب الذي لا يتحقق . . أي أن وعود الشيطان وما يزين به للناس المعصية ما هو إلا كذب لا يمت إلى الحقيقة بصلة.

إذن الشيطان هو العدو الحقيقي للنفس البشرية تصديقاً لقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر:٦]

ولكن كيف الطريق إلى نجاة العبد من الشيطان . . ؟ وكيف يغلق الأبواب أمام الشيطان بحيث لا يكون له مقام في نفسه. . ؟

أولاً: الاستعاذة بالله ظاهراً وباطناً، قولاً وعملاً من أباطيل الشيطان وخداعه . . والسير في طريق السلامة والاستقامة.

ثانياً: أن يثبت العبد على دينه، ويحافظ على أداء التكاليف والفرائض الشرعية ، واتباع القدوة الحسنة.

ثالثاً: التقرب إلى الله تعالى بالذكر والنوافل كما ورد عن الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١]

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد:٢٨]

والذكر هو الحصن الحصين الذي لا يستطيع الشيطان أن يطرقه لأن العبد فيه آمن على نفسه من مكائده.

رابعاً: المجاهدة في سبيل الله، وذلك بكثرة الرياضات وعمل الطاعات وتربية النفس وترويضها، وهي الطريق الموصل إلى المقام الأمين، وإذا كان العبد مراعياً لله، سائراً على طريق الإخلاص، طائعاً قاصداً وجهه الكريم، فيحظى بالمقامات العليا، ويترقى في سلم الصالحين والشهداء والصديقين.

هذه هي سبل النجاة ودعائم الإنقاذ من الشيطان والتي يجني ثمارها العبد الصالح المحب لله

إن كنوز الرحمة الإلهية والعناية الربانية تتلألأ في كل آية من آيات القرآن الكريم، بل وفي كل حرف من حروفه، ولو كل إنسان تلمس وغاص في أعماق هذه الكنوز لملك الدنيا والآخرة، ولحرَّم على نفسه الظلم ، ولعرف كيف أن الإنسان يظلم نفسه ويودي بحياته وطريقه إلى الشقاء والهلاك بشركه لله وبُعدِهِ عنه.

فالآيات القرآنية الكريمة مليئة بكنوز نورانية تشهد رحمة الله ، ولمسات حنان الله ، وآيات حب الله حيث تكشف لنا عن حقيقة هامة خالدة تتبلور فيها لمسة حية من لمسات الحنان الإلهي، وآية نابضة من آيات الحب الإلهي لعبده الإنسان الذي خلقه في أحسن تقويم.

وهذه الحقيقة الخالدة التي نتلمسها ونعيشها بكل وجداننا والتي تملأ الوجود بأكمله .. الحقيقة الثابتة الخالدة الحية القائمة بيننا والتي تحيا في جوارحنا ووجداننا، وتنير طريقنا، وتملؤنا أملاً في اليوم وإشراقاً

للمستقبل ألا وهي أن الله عز وجل رحيمٌ بالإنسان رحمة لا حدود لها.. رحمة واسعة أكبر وأوسع من أن يعبر عنها . . وأشمل من أن توصف .. رحمة شاملة لا بداية لها ولا نهاية.

ما أعظم لمسات الحنان الإلهي . . !

ما أروع آيات الحب الربـــاني . . !

ماذا يريد الإنسان بعد كل ذلك . . ؟ لقد بين الله عز وجل كل شيء.. حذرنا من الشيطان . . ومن الوقوع في غوائله والسقوط في حبائله، وأنه عدو الإنسان، وبين لنا أسلوبه ومنهجه في الغواية وكشف لنا هدفه من ذلك ، ثم هدانا سبحانه إلى الطريق القويم والصراط المستقيم، حيث أرشدنا جل جلاله إلى طريق النجاة من الشيطان، والقرب من الله.

أبعد كل ذلك نترك الله . . ونبتعد عن طريقه . . ونفتح المجال للشيطان؟

لا أيها القلب المؤمن المحب لله . . توكل على الله ، وسر في طريق الله ، واتخذ الشيطان عدواً لك، فإنها معركة حياتك . . معركة بين الخير والشر . . بين الحق والباطل . . وما دمت أيها القلب محباً لله ولياً له طامعاً صابراً حامداً شاكراً ، فستنتصر وسترفع راية النصر معلناً الأمان والسلام والحب.

! . . . حقاً إن كل لحظة في حياتنا تنعم بلمسات الحنان الإلهي، وتشهد بآيات الحب الرباني ممتزجة بنسمات

الرحمة الواسعة الشاملة مما يجب أن نشكر الله عليها، ونحمده حمداً كثيراً . . ومهما سلكنا من خطوات في طريق الله، ومهما حمدنا الله، ومهما أكثرنا من شكر الله فسنظل عاجزين عن إيفاء الله حقه من الحمد والشكر، وسنظل حتى يوم الدين فقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد رب العرش العظيم.

ولكن بكل عجزنا لا يسعنا غير أن نشكر الله ونحمده ونسير في طريقه ساعين إليه . . طامعين في حبه وحنانه وحفظه ونجاته لنا من الشيطان وأعوانه ، آملين في الفوز برضانه، والدخول في رحمته يملؤنا الحب والأمل، فيغدق الله بلمسات حنانه وآيات حبه وعطائه الفياض بفتح أبواب السلام الروحي، والاطمئنان القلبي، والأمن النفسي . . .].

الخاتمة

لقد منّ الله علينا بأعظم نعمة في الوجود وهي نعمة الهداية إلى دينه الخاتم الشامل.

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة:٣]

وواجبنا نحن المسلمون أن ندعو إلى ديننا وأن نعلمه للناس تعليماً صحيحاً من ينابيعه الصافية، نعلمه عقيدة وعبادة وأخلاقاً وسلوكاً وتشريعاً، وحضارة مثلى تصل الأرض بالسماء، وتجمع بين العقل والقلب، وتوازن بين الحقوق والواجبات، وبين حق الفرد ومصلحة المجموع.

ومن خصائص هذا الدين العظيم أنه دين عالمي لم ينزل لقوم دون قوم، ولا لبيئة دون بيئة، ولا لجيل دون جيل، وإنما نزل للعالمين جميعاً وللناس كافة طوال العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]

ولا يعتبر الإسلام رسالة إلى الإنسان فقط بل هو أيضاً علاجٌ لجميع أمراض المجتمع وألوان الضعف فيه، ولذلك إذا تتبعنا أحداث قصة رسول الله محمد ﷺ لوجدنا أنه كان يعالج المجتمع ككل . . .

يعالج فيه العقيدة

ويعالج فيه الأخلاق

ويعالج فيه التشريع

ويعالج نظام المجتمع

ويدفعه إلى العلم

ومن أهداف رسالته أنه : يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم.

يقول الله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾

[الجمعة:٢]

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٤]

لقد أرسل الله عز وجل رسلاً يدعون إلى التوحيد ويعالجون أمراضا معينة في المجتمع إلا محمد صلوات الله وسلامه عليه، كان يعالج المجتمع ككل، ويسوقه إلى حضارة يتكامل فيها العلم والإيمان،

حضارة علمية مؤسسة في أسسها، وفي سيرها، وفي أهدافها على الإيمان.

ومن هنا كانت رسالته الخالدة، وكان خاتم الرسل.

فالإسلام هو وحي الله العليم بكل شيء، وتعاليم الله الخالق لكل موجود . . إنه منحة إلهية . . منحة الله لعباده لا ينكرها إلا الجاحدون.

هذا هو الإسلام كنظام للحياة . . نظام الحياة الإنسانية الفاضلة المطمئنة المستقرة، هو نظام حياة الفرد والمجتمع معاً.

ومن هنا كانت شمولية الإسلام حيث شمل الحياة كلها، فالتشريع في الإسلام تشريع شامل، حيث يشمل الفرد والأسرة والمجتمع في علاقته المدنية والتجارية، والجرائم وعقوباتها المقررة والعلاقات الدولية في السلم والحرب.

ومن هنا لا توجد ناحية من نواحي الحياة إلا دخل فيها التشريع الإسلامي آمراً أو ناهيا أو مخيراً.

ويبدو شمول التشريع الإسلامي في أمر آخر أو بُعد آخر وهو النفاذ إلى أعماق المشكلات المختلفة، وما يؤثر فيها وما يتأثر بها، والنظر إليها نظرة محيطة مستوعبة، مبنية على معرفة النفس الإنسانية وحقيقة دوافعها وتطلعاتها وأشواقها، ومعرفة الحياة البشرية، وتنوع احتياجاتها وتقلباتها وربط التشريع بالقيم الدينية والأخلاقية، بحيث يكون التشريع في خدمتها وحمايتها ولا يكون معولاً لهدمها.

مما سبق يتضح لنا أن الشريعة الإسلامية . . شريعة شاملة . . كاملة . . متكاملة لم تترك جانباً واحداً من جوانب الحياة إلا وضعت حكمها عليه وحدّها فيه وما يجب عمله وما لا يجب . . فهو شمول محيط بكل جوانب الحياة ، وبذلك يسير الإنسان على بينة من أمره، واستقرار إلى مصيره آمناً مطمئناً إلى منهج الله في الأرض وإلى شريعة الوجود.

هذا الشمول الذي تميز به الإسلام بحيث استوعب الحياة كلها، والإنسان كله في كل أطوار حياته، وفي كل مجالات حياته يؤدي في النهاية إلى معرفة حقيقة هامة وهي: لا استغناء عن الدين، فالحياة الخالية من التمسك بالدين هي حياة ضائعة تافهة دون هدف أو أمل تغيب عنها لمسات السعادة.

فالدين هو المنبع الصافي الذي نستقي منه، ونهتدي به، فهو نبع الحياة التي هي رسالة إلى كل فرد لأن يتبع المنهج الإلهي ويقتدي بالدين لمعالجة جميع أمور حياته، وليرتقي بنفسه إلى مقام النفس الآمنة المطمئنة التي تجعل من الدين نبراساً لها في الحياة، ونوراً تهتدي به إلى صراط الله المستقيم.

وأفضل الدلائل على ضرورة التمسك بالدين في الحياة، سلوكيات أنبياء الله – الصفوة المختارة – حيث كان الدين هو المرشد لهم ومنبعهم الأصلي في معالجة ما يقابلونه في الحياة من صعاب ومحن كانت تتطلب الصبر والخلق الكريم الذي استقوا ينابيعه الصافية من الدين الذي اختاره الله . . دين الإسلام . . دين الله الواحد.

ومن هنا كانت سلوكيات رسل الله القدوة الطيبة لنا بأن نربط بين الدين والحياة، ولا نفصل بينهما وأن نعالج مشكلات وأمور حياتنا من جوهر الحياة ونبعها الصافي وهو الدين، وأن نستمد الأخلاق والسلوك الحميد من الدين الذي يهدي إلى الصلاح والتقوى.

فإذا كان التأمل هو نبض الحياة
فإن الدين هو نبع الحياة
والإيمان هو نور الحياة

والسعادة الحقيقية الكاملة الخالية من كل زيف وخداع هي الكامنة في حب الله والنابعة من التمسك بالقيم والارتباط بالدين والخلق الكريم، وأن يكون الولاء لله وحده.

((اللّهم أنبتنا نباتاً حسناً
وتقبل منّا واهدنا إلى صراطك المستقيم
النابع من دينك الحنيف القويم))

المؤلفة في سطور

* ناهـــد الخراشي

- تخرجت من كلية الآداب – قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية (شعبة الفلسفة) جامعة ألإسكندرية عام ١٩٧٦.
- دبلـوم دراسـات عليـا فـي علـم النفـس الإسـلامي مـن جامعـة الإسكندرية.
- تهتم بالدراسات النفسية في القرآن الكريم والسيرة النبويـة، وقد أعدت مجموعة من الأبحاث والدراسات في هذا المجال – كما نشرت لها عدة مقالات في ذات الموضوع.

* كتب للمؤلفة:

- **أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي.**
- **الإسلام فطرة الخلق وشريعة الوجود.**
- **عيون لها نور من الله.**
- **شعائر الله وأخلاقيات الحج والعمرة.**
- **معاً قلباً وعقلاً.**
- **مكان في الجنة.**

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١١
اللهم	١٥
هدية الله إلى العالمين	١٩
أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي	٢٢
الخلق القرآني	٢٦
نبضات من الحب الإلهي	٣٢
توظيف نعمة الله في سبيل الله	٣٨
عطاء الله ولمسات الحنان الإلهي	٤٢
القدوة والمثل الأعلى	٤٧
من الهدي النبوي	٥٣
ملوك العلم والحضارة	٥٦
التأمل نبض الحياة	٦١
الأسرة ودورها في التنشئة الإسلامية	٦٥
المؤسسات التعليمية ودورها في بناء التربية الإسلامية......	٧٠
أثر الإسلام في استقرار الدولة	٧٩
الإخلاص وأهل هذا الزمان	٨٧


تم بحمد الله